

عمر لطفي النجار

# المعرفة الصوفية بين الخطأ والشيطان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَالَّذِي يُرِيهِمْ آيَاتِهِ  
وَالَّذِي يُخْرِجُ النَّوْمَ  
وَالَّذِي يُخْرِجُ النَّوْمَ  
وَالَّذِي يُخْرِجُ النَّوْمَ

## - مقدمة:

من المعلوم المستفاد مثلاً عن تجربة الإسراء والمعراج أن صدق خبر الإسراء أمام تجربة العقل ألزمتنا التسليم بصدق حدث المعراج فلولا إدراك الصدق فيما هو مُدرك لما كان لنا تصديق الأخبار عما لم يدرك حيث لا إيمان إلا ويجب مروره على العقل بهذه العلاقة، كما لا إيمان بالمقابل لمن رفع عنه القلم كالمجنون الفاقد لعقله لأنه لا تجربة لديه تلزمه بصدق الخبر سواء تعلق الخبر بالمُدْرَك أو اللامُدْرَك.

محمد ﷺ أرسل للخلق كافة حتى قيام الساعة وهذا يعني وجوب استمرار برهان صدقه طالما للعقل وجود، وإلا لما كانت رسالته شاملة لكل زمان ومكان وأينما كان الإنسان، وهو ما يعنيه تعالى بقوله: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم الحق"، وما أكثر "المتشابه" الذي أُحْكَمَ بتقدم تجربة العلم أو العقل بعد أن كان متشابهاً على ثقافة البيئة التي عاصرت الرسول ﷺ، وما أكثر الكتب التي تحدثت عن الإشارات العلمية في القرآن والسنة لتشهد بأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس من لدن نفسه وإنما هو معجزة من لدن العليم الخبير.

فلو قال محمد ﷺ مثلاً على أرضية اقتطاع المجموعة الشمسية أن الشمس هي التي تدور حول الأرض، وقال العلم ومن نفس الاقتطاع وباليقين العقلي المُدْرَك للجميع: بأن الأرض هي التي تدور حول الشمس

لكان محمداً ﷺ مخطئاً إما بوهم الإدراك وإما بثقافة عصره وإما بمصادر أخباره التي يجوز في حقها حينئذ الخطأ والجهل، وعندها لا يحق له ربط ما جاء به خارجاً عن هذه المصادر وإلا لوجب الاعتقاد لو تم ربطه بالله بأن الجهل صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وعندها لا مكان ولا مكانة للقرآن أمام العقل وتجربته أو أمام استمرار تجربة الإعجاز إلا أن العكس قد حدث والمنكر أمسى كالمنكر لعقله "ولله الحجة البالغة".

أما بالنسبة للملائكة فإن أتت بخبر ما للبشر فعن أمر إلهي ولا خطأ فيه قطعاً فليس لهم من الأمر شيء "ولا يعصون الله ما أمرهم" وكل خطأ خبري عندها سواء تعلق بالطبيعة أو بما فوقها يستحيل ربطه بالله أو الملائكة وكل من أخطأ في شؤون الطبيعة المدركة بأخباره التي زعمها لدنية يستحيل عندها التسليم بصدق أنبائه عما لم يُدرَك أو عما فوق الطبيعة، وكل ما نرجوه للصوفي عبر هذا الكتاب هو الصمود أمام هذا المعيار الموضوعي بما زعمه من معارف مصدرها كما يقول الله والملائكة أو المشاهدة والعيان وإلى ما هنالك من مصادر منزهة عن الجهل والخطأ بزعمه، ولو قال الصوفي بأن ما لديه من معارف عن الطبيعة بالتحديد أتياً إليه عن تجربة معها أو عن تجربة الآخرين، لكان من الحمق والسخف أن تكون أقواله هذه موضوعاً للمحاكمة، إلا أن القضية بالنسبة لنا إنما هي قضية منهج عرفاني لبيان قيمته بين حدي

الصواب والخطأ أو الصدق والكذب، وما بالك إن جعل الصوفي منهجه  
هذا قيماً على العقيدة والشريعة، قيماً على العلم والعلماء والعقل حيث لا  
حقيقة ولا يقين برأيه إلا به ومنه.

## - كل العلوم عند الصوفي لدنية:

معرفة الطبيعة، معرفة ما وراءها، كل ذلك عند الصوفي عن لدنية إلهية أو ملائكية أو عن الكشف والعيان والمشاهدة وإلى ما هنالك من أساليب محفوظة عن الخطأ والجهل، فعند حديث "الدباغ" عن نسب هود من الناحية التاريخية قال ابن المبارك: إن حديثه رضي الله عنه "محض كشف وعيان، فإنه أمني عامي لا يعرف تاريخاً ولا غيره"<sup>١</sup>. وإذا ما تحدث عن البلدان والجغرافيا فإنه "يتكلم معك في الأماكن والمواضع تظن أنه سافر إلى الموضع الذي يخبر عنه. وما هو إلا الكشف الصحيح"<sup>٢</sup>، "واعلم أن أهل الحق - كما يقول الشعراني - يشهدون جميع العلوم حتى الحساب والهندسة وعلوم الرياضيات والمنطق والعلم الطبيعي"<sup>٣</sup>، "فليس في العالم عندنا في نظرنا - كما يقول ابن عربي - شيء إلا ولنا فيه شهود عين"<sup>٤</sup>. ومعرفة أهل الله للطبيعة وما وراءها كما يقول عبد الكريم الجيلاني كائنة عن تجلياته سبحانه وتعالى عليهم، "فمنهم من تجلى الله عليه بالصفة العلمية. فعلم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريحها من المبدأ إلى المعاد وعلم كل شيء كيف كان وكيف هو

<sup>١</sup> - ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ج ١ الإبريز

<sup>٢</sup> - ص ٧٨ نفسه

<sup>٣</sup> - ص ١٠٤ ج ١ الأنوار القدسية

<sup>٤</sup> - ص ٢٢٣ ج ١ ب ٣٦ الفتوحات المكية

كائن وكيف يكون وعلم ما لم يكن ولم لا يكون"<sup>٥</sup>، وعندها لا مجهول عند الصوفي لا في السموات ولا في الأرض ولا حدود لمعرفته بالزمان والمكان، وهكذا يكون تحصيله للعلم الشامل مهما كان موضوع العلم وموضعه "فالعلماء – كما يقول ابن عربي – هم الذين علموا الكائنات قبل وجودها وأخبروا بها قبل حصول أعيانها"<sup>٦</sup>، فلا جهل على الحقيقة لمن كان الله وسيلته في تحصيل العلم "فمن عرف الله عرف كل شيء"<sup>٧</sup>، "ومن رأى الحق ببصره رأى كل نوع من العالم لا يفوته من أنواعه شيء"<sup>٨</sup>، ويقول: "المعرفة في طريقنا. - منحصرة في العلم بسبعة أشياء. -" "آخرها علم الأدوية والعلل"<sup>٩</sup>، ولسنا آخذين في علومنا لشيء من الفلاسفة ولا من العلماء "ولسنا ممن يحكي أقوالهم في أمر ولا أقوال غيرهم، وإنما نورد في كتابنا وجميع كتبنا ما يعطيه الكشف ويمليه الحق"<sup>١٠</sup>، فالعلم برأينا "ما هو إلا العلم بالله خاصة، لا العلم بالحساب والهندسة والنجوم"<sup>١١</sup> وإلى ما هنالك، فمن عرف الله كان له كل هذه العلوم دون خطأ على الإطلاق، وليس لواصل أن يخطئ في قراءة اللوح المحفوظ إن كان – كما يقول الغزالي – كل حرف من كلام الله عز وجل

<sup>٥</sup> - ص ٣٨ ج ١ ب ١٤ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل

<sup>٦</sup> - ص ٢٥ مواقع النجوم

<sup>٧</sup> - ص ١٩٧ ج ٤ ب ٥٥٨ الفتوحات المكية

<sup>٨</sup> - ص ٣٩٥ ج ٣ ب ٣٦٩ نفسه

<sup>٩</sup> - ص ٢٩٩ ج ٢ ب ١٧٧ نفسه

<sup>١٠</sup> - ص ٤٣٢ ج ٢ ب ١٩٨ نفسه

<sup>١١</sup> - ص ١٧٨ ج ٤ ب ٥٣٣ نفسه

في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف"<sup>١٢</sup>. فاتركوا العلم وأهله إذن وخذوا باليقين الذي فيه كل العصمة والصواب، ما الذي تريدونه من العلم؟ أتريدون مثلاً دراسة الكيمياء؟ ولكن أبو العباس المرسي يقول: "ماذا أصنع بالكيمياء؟ والله لقد صحبت أقواماً يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فتثمر رماناً للوقت، فمن صحب هؤلاء الرجال ما يصنع بالكيمياء"<sup>١٣</sup>، أما الشيخ عبد الله القطان فقد نهى هو الآخر عن تأليف الكتب قائلاً: "مساكين أصحاب المصنفات والتأليف ما أطول حسابهم غداً"<sup>١٤</sup> عند الله، ولن ينجيهم من العذاب مساواة مدادهم بدماء الشهداء، و"ابن علي بندار" يقول: "رأى "والدي" مرة في يدي كتاباً فقال: ما هذا؟! قلت: كتاب. فقال: ألم تكن المعرفة في القلوب؟ فقد صارت في الكتب!"<sup>١٥</sup>، والغزالي بدوره يخاطب الشباب المسلم ناصحاً لهم قائلاً: "أيها الولد: أي شيء حاصل لك من تحصيل علم الكلام والخلاف" أي الفقه" والطب والدواوين أو "التاريخ" والأشعار والنجوم" أي الأدب والفلك" والعروض والنحو والتصريف غير تضييع العمر بخلاف ذي الجلال"<sup>١٦</sup>. فمن طلب الله أو رضاه فليكن نظره إلى المحبرة كنظره إلى

<sup>١٢</sup> - ص ٢٨٠ ج ١ إحياء علوم الدين

<sup>١٣</sup> - ص ٢١ ج ٢ الفتح الرباني

<sup>١٤</sup> - ص ٧٠ روح القدس في محاسبة النفس

<sup>١٥</sup> - ص ٥٠٣ طبقات الصوفية

<sup>١٦</sup> - ص ١٦٤ ج ١ أيها الولد



العورة"<sup>١٧</sup> ونظره إلى سواد الخبر على حد تعبير الشبلي كأنه سواد القلب"<sup>١٨</sup>، فإن كان لك ذلك قل عندها معه:

"إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق"<sup>١٩</sup>

والشعراني هو الآخر "يفتخر بأنه تتلمذ على سبعين شيخاً لا يعرف أحدهم النحو"<sup>٢٠</sup>. وهكذا أصبحت الجهالة إحدى مقامات الصوفي المطلوبة، وهل ما هو أعظم من الشيخ عبد الرحمن المجذوب والخواص وهما أميان، بل إن الدباغ "أميته موهوبة له"<sup>٢١</sup>. فسبحان الواهب المنان! "والنهر جوري يقول: لا يصل العارف إلى ربه إلا بقطع القلب عن ثلاثة أشياء: العلم والعمل والخلق"<sup>٢٢</sup>. فاهجر العلم بالكشف، واترك العمل بالتسول، واهجر الخلق بالخلوة تصبح بعدها إلهي الإدراك إلهي المعرفة، وهل سيكون جاهلاً من كان الله سمعه وبصره وكل قواه؟ وهب أن العالم كله انطلق إلى العلوم تحصيلاً وجمعاً وتصنيفاً، فمن السخافة عندها أن نتبع سنتهم بقصد تسخير الطبيعة، والسكندري يقول في كتابه "التنوير في

١٧ - ص ٣٢٩ تليبيس إبليس

١٨ - ص ٣٢٩ نفسه

١٩ - ص ٣٢١ نفسه

٢٠ - ص ١١٧ العقلية الصوفية ونفسانية التصوف

٢١ - ص 5 ج ٢ الإبريز

٢٢ - ص ٣٨١ طبقات الصوفية

إسقاط التدبير": "أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك لا تقم به لنفسك"<sup>٢٣</sup>. أي: كن عالية على غيرك تريح نفسك!

فالصوفي لا يريدنا أن ننطلق إلى العمل، إلى بناء المعامل والمصانع والعمران، ولا يريدنا أن ننطلق لتحصيل العلوم بكافة أصنافها ولا يريد منا أي سعي نحو بناء المجتمع المثين، لأنه يخشى علينا من العلوم المضیعة للأعمار، فخذوا العلم من عيانه وكشفه ولا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير!

وأي حلم أجمل من تحصيل المعرفة الشاملة، وهل من سعادة تضاهي السعادة بزوال كل الجهل؟ فلا شيء أعظم عند الإنسان من المعرفة التي لا تخطئ، ولا أحلى من سيطرته على الطبيعة بأهون السبل كنقل الجبال مثلاً بيضع كلمات يتفوه بها الصوفي لبناء السدود وهزيمة الأعداء وإلى ما هنالك؟ وأية أسرار لأعدائنا سنخشاها إن كان العارف يعرف السر وما أخفى رغباً عن بعد المسافات وغلظة الحواجز والحجب. إلا أنها أحلام تعيسة تلك التي لا قيمة لها في الواقع، تلك التي لا قدرة لها على مبارحة الخيال، ولا شيء أتعس من أوهام العلم الشامل الذي سيمنعنا حتماً عن طلب العلم لأنه لا علم ولا طلب له إن انعدم الجهل بهذه الأوهام.

<sup>٢٣</sup> - ص ٢١٦ التصوف بين الحق والخلق

الصوفي يزعم المعرفة الشاملة بكل العوالم على الإطلاق، أما نحن وإذا أردنا تقييم معارفه فعلياً اعتباراً من قِبَل الافتراض لنرى إن كان هذا الافتراض صادقاً أو كاذباً. أما بالنسبة لمعرفته بالملا الأعلى وبما وراء العالم فتلك ميزانها من الناحية الإسلامية القرآن والنبوة ولا معايير موضوعية أبعد من ذلك، والمسألة حينئذ هي مقارنة الخبر الصوفي بالخبر النبوي، والصواب والخطأ عندها سيكون محدوداً في التطابق أو الخلاف، أما عن معارفه التي تخص الطبيعة فليس لنا إلا مقارنة ما يقوله بالصواب المدرك عن موضوع الاقتطاع وهنا تكون النتيجة الخطرة التي على الصوفي أن يقبلها رغماً عنه، فإن كان لنا إدراكاً لخطأ من معارفه عن الطبيعة فهذا يعني إلزامه للاعتراف بأن الله والملائكة هي مصدر ما أخطأ به، أو أنه كاذب فيما زعمه لما عرف، وفي حال وجود هذه النتيجة التي لا بد منها يكون امتداد خطأ الصوفي إلى معارفه التي زعمها عما فوق الطبيعة لأنه من المحال أن يصيب هناك في الأبعد ويخطأ هنا مع الأقرب، وهذا المعيار هو نفسه التي خضعت له أخبار النبوة التي حملت برهانها المستمر من خلال ما عرف بالإشارات أو المعجزات العلمية في القرآن، إضافة لإعجاز البيئة المحدود بنظمه وبالإعجاز المستمر انتصرت النبوة وشهد العلم بأن القرآن كتاباً من لدن العليم الخبير لا من محمد ﷺ ولا من ثقافة بيئته وهذا لم

يكن لنا إلا بانطباق الصواب العلمي مع الخبر القرآني بعد عشرات العقود  
من بعثته ﷺ.

## - الأمراض والمعرفة الصوفية:

ليس للأمراض برأي الصوفي تلك الأسباب المؤدية إليها، وإنما هي ابتلاء وقربى "فلما كان الغالب على الناس - كما يقول الرفاعيون - عدم التطهر ابتلاهم بالأمراض كفارة وظهوراً ليصلحوا لقربه ومجالسته شعروا بذلك أم لم يشعروا"<sup>٢٤</sup>. فالأمراض للإنسان كفارات وتطهير لإصلاح البشر للقرب الإلهي، ومن الخطأ عند الصوفي السعي لطلب الشفاء وهنا يكون الخطأ الجسيم، وعن أسباب الموت الفجائي مثلاً، يقول الدباغ الذي لا تخفى عليه خافية: إذا فتح على العبد شاهد ما لا يطيق من عالم الملائكة والجن والشياطين، ورأى من الصور الفظيعة، وسمع من الأصوات الهائلة ما تنفلق به كبده-. وكم من رجل يكون في حانوته يبيع فيها، فيفتح الله عليه فيرى ما لا يطيق فيموت في حينه فيظن الناس أنه مات فجأة من غير سبب، وهو إنما مات من الفتح وهو مات على الولاية"<sup>٢٥</sup>. فكل من مات على الفجأة إذن فهو ولي من أهل الفتح والكشف ولا أسباب أبعد من ذلك!! وبقوله هذا يكون إغلاق الباب أمام السعي لمعرفة العلة المجهولة للمرض، وعندما مات "الصيداء" بعد زوال لحمه حتى لم يبق فيه إلا الجلد والعظم اعتبروا ذلك كرامة إلهية له حتى قالوا

<sup>٢٤</sup> - ص ٤٦٠ قلادة الجواهر

<sup>٢٥</sup> - ص ٢٨٩ ج ٢ الإبريز

عن مناقبه: أنه "لم يخرج من الدنيا وعليه شيء من لحمها"<sup>٢٦</sup>. وربما أن الرجل قد أصيب بمرض السكر أو بالسرطان وإلى ما هنالك، ولكنهم لجهلهم جعلوا السبب كرامة ونعمة إلهية، وإذا ما رأوا الطفل يصرخ عند الولادة قالوا: إن السبب هو إبليس، "فإبليس الموكل بطعن الأطفال عند الولادة حين يصرخ الولد إذا خرج من طعنته"<sup>٢٧</sup>، بل ولا إدراك للصوفي للعدوى وخطورتها في بعض الأمراض، فمثلاً "كان الرواس يمشي إلى المجذومين ويغسل ثيابهم ويفلي رؤوسهم ولحاهم ويأكل معهم"<sup>٢٨</sup>، والرفاعي هو الآخر كان يفعل ذلك"<sup>٢٩</sup>، وربما فعلاً ذلك برهاناً على أن كرامتهما أعظم من أن يصابا بعدوى الأمراض أو أعظم من انصياعهما لتحذير الرسول ﷺ، وإذا ما بحث الصوفي عن الدواء، فلا أيسر من الحصول عليه وبدقة لا يتخللها خطأ مهما يكن، فالشيخ أبو عبد الله الغزالي كان "إذا رأى أعشاب ذلك المرج، كلها تخاطبه بمنافعها فتقول له الشجرة أو النجم: خذني فإنني أنفع لكذا وأدفع من المضار كذا وكذا"<sup>٣٠</sup>. إلا أننا مع الأسف قد أصبحنا في علوم الطب عالية على جهود الآخرين، فكيف هذا والأولياء عندنا أعظم من الحصر؟ وربما أن المعرفة الصوفية بما فيها من أسرار لا تحد لم تزل حتى الآن غير مؤهلة للنفع البشري! ولكن ما

<sup>٢٦</sup> - ص ١٩٤ التصوف بين الحق والخلق

<sup>٢٧</sup> - ص ١١٠ ج ٢ الكبرى الأحمر

<sup>٢٨</sup> - ص ١٩٤ التصوف بين الحق والخلق

<sup>٢٩</sup> - ص ٦٣ قلادة الجواهر

<sup>٣٠</sup> - ص ٢٠٥ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

حاجة الصوفي إلى الأعشاب وإلى ما هنالك وهو القادر على القبض على المرض وقذفه بعيداً عن المريض إلى الأبد، فالشيخ ابراهيم الأعزب مثلاً نقل مرض الجرب من المريض إلى المرید ومن المرید إلى الخنزير وهكذا برئ المريض من مرضه الذي أصابه"<sup>٣١</sup>، والقشيري يقول: "سمعت المرتعش يقول: دخلنا مع أبي حفص على مريض نعوده ونحن جماعة فقال للمريض: أتحب أن تبرأ؟ فقال: نعم. فقال لأصحابه: تحملوا عنه. فقام العليل وخرج معنا وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نُعاد"<sup>٣٢</sup> فقد أخذ القوم المرض ووزعوه على أنفسهم أو فيما بينهم فشفي المريض من مرضه بعد أن رحلوا المرض إليهم!

أما الغزالي فيستخدم الحروف والكلمات لتسريع الولادة، فبعد أن رسم الشكل المطلوب "طلسم" لذلك الغرض قال: "يكتب على خرقتين لم يصبهما الماء وتنتظر إليهما الحامل بعينها وتضعهما تحت قدميها فيسرع الولد في الحال إلى الخروج"<sup>٣٣</sup>، وعندما أراد أن يفتخر بإنجازه هذا قال طرياً: اعلم أنه "وإن اجتمع الحذاق وتفكروا في الشكل الموضوع على مناسبة الأعداد لسهولة الولادة ما عرفوا تلك الخاصة"<sup>٣٤</sup>. ومن أين للحذاق وأهل الفكر الكشف والعيان ومعرفة أسرار الحروف والأشكال!؟

<sup>٣١</sup> - ص ٣٣٥ قلادة الجواهر

<sup>٣٢</sup> - ص ١٠٥ الرسالة القشيرية

<sup>٣٣</sup> - ص ٥٠ المنفذ من الضلال

<sup>٣٤</sup> - ص ١٢٧ المظنون به على غير أهله

ومن جملة أدوية الصوفي عدا الحجب والطلسمات زيارة الأضرحة وقبور الأولياء والشفاء عندها يتناسب طردأً مع قيمة النور أو الهدايا، وللبواسير عند الغزالي أيضاً علاج هام ولا أسهل منه، وفيه يقول: "وقد ينزل من السماء ضفدع أخضر يصلح للبواسير"<sup>٣٥</sup>. ولكنه والله الحمد لم يقل إذا عرفت هذا السر فاكتمه عن غير أهله كما هي العادة عند أهل الله.

والمأمل أخيراً في هذه العجالة البسيطة سيرى أن الصوفي جاهلاً بطبيعة الأمراض وأسبابها، جاهلاً بالعدوى وأثارها، جاهلاً بما أمرنا به الرسول ﷺ. وإن تحدث عن علاج الأمراض فعلاجه تخريف وشعوذة فله حسب رأيه انتزاع المرض وله أن يعالج الأمراض بالحروف والطلسمات والأضرحة والأسرار كل ذلك على الحقيقة لا علاقة له بالعلاج إلا بجعل المريض مصدراً من مصادر أرزاقهم وتأمين قوتهم ولقمة عيشهم والمحافظة على مكانتهم، ومن لدنية العلاج تكلمهم الأعشاب ومن تلك اللدنية علمهم بأسرار الحروف والأشكال والمقابر، وباللدنية لهم نقل المرض للشفاء أو لقتله على الأعداء أو الحيوانات، إلا أن العارف لبدائية القرون الأولى سيدرك بدائية الصوفي الذي لم يستطع القفز بلدنياته المزعومة فوق المعروف والمألوف البدائي اللهم إلا إذا افترضنا أن غاية الصوفي وهو العليم بكل شيء هو جعلنا في مؤخرة الأمم والشعوب وإلا

---

<sup>٣٥</sup> - ص ٧٠ سر العالمين



لما نهانا عن العلم بكل أصنافه عن المحبرة والقلم عن بناء المصانع  
والمشافي والمخابر عن التسليح وبناء الجيوش أم ترانا سنصدق قدراته  
اللامحدودة كبديل عن بناء قوتنا، وكيف عجز كشفه عن معرفة ما يقدمه  
العلم للإنسان من خدمات جلى؟ فإن عرف هذا فهو الخائن لأمتة، وإن لم  
يعرف فهو الكذاب بما زعم من معرفة لا محدودة.

## - الجنين يتغذى بدم الحيض:

لقد قال ابن عربي في معرض برهانه على إيمان فرعون حسبما زعم: "وأنا إن شاء الله أسرد منها "أي من قصة موسى" في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الإلهي في خاطري"<sup>٣٦</sup>. وبهذه المعرفة الإلهية راح يحدثنا عن تفضيل التي أرضعته على أمه التي أنجبته قائلاً: اعلم أن "أم الولد حملته على جهة الأمانة فتكوّن فيها وتغذى بدم طمثها من غير إرادة لها في ذلك"<sup>٣٧</sup>. فأين هي من التي أرضعته باختيارها؟ فابن عربي إذن بعلمه التي نسبها إلى الله يجهل تغذية الجنين، فالجنين برأيه يتغذى بدم الحيض أو الطمث! هذا ما يقوله الله؟ فليت شعري! أما الغزالي فيقول: "ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من المني ودم الحيض-. وكيفية انقسام قعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الإناث-. لقضيت من أنواع نعم الله عليك في مبدأ خلقك كل العجب"<sup>٣٨</sup>. فالجنين كما يزعم علمه الكشفي يتكون من المني ودم الحيض، والأمكنة أو الحجرات التي في الرحم هي المسؤولة عن تحديد الذكور والإناث! وابن عجيبة يقول: "فانظر رحمك الله إلى أصلك حين كنت نطفة مهينة، فقلب الحق تعالى عرق دم الحيض مدداً لك في

<sup>٣٦</sup> - ص ١٩٧ ج ١ فصوص الحكم

<sup>٣٧</sup> - ص ٢٠٢ نفسه

<sup>٣٨</sup> - ص ١١١ ج ١ إحياء علوم الدين

رحم أمك ثم صرت علقة ثم مضغة"<sup>٣٩</sup>، "ثم غذاك بدم الحيض في رحم الأم"<sup>٤٠</sup>.

ويحدثنا الغزالي أيضاً عن طرفة أخرى من معارفه التي نسبتها للأنبياء يقول فيها: إن إطعام السفرجل للحبلى يؤدي إلى إنجاب الأولاد الحسان فقد "روي أن قوماً شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم، فأوحى الله تعالى إليه: امرهم أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فإنه يحسن الولد"<sup>٤١</sup>. والحقيقة على ما يبدو أنه لا مصدر لهذه الرواية إلا الكشف الذي لا علاقة له بالمعقول واللامعقول، أما ابن عربي فقد زعم التحكم بأخلاق الجنين أو الوليد وصورته إذا ما تم وضع صورة الشيخ الصوفي أمام الزوجين لينظرا إليها أثناء الوقاع خاصة عند نزول ماء النكاح وزوجه"<sup>٤٢</sup>، "فإذا أراد الإنسان - حسب زعمه - أن ينجب ولده فليقم في نفسه عند اجتماعه مع امرأته صورة من شاء من أكابر العلماء، وإن أراد أن يحكم أمر ذلك فليصورها في صورتها التي نقلت إليه أو رآه عليها المصور ويذكر لامرأته حسن ما كانت عليه تلك الصورة - صورة الشيخ - وإذا صورها المصور فليصورها على صورة حسن علمه وأخلاقه كأن يجسد تلك المعاني ويحضر تلك الصورة لامرأته ولعينه عند الجماع ويستفرغان في

<sup>٣٩</sup> - ص ٢١٢ ج ١ الفتح الإلهي  
<sup>٤٠</sup> - ص ١٤٦ - ١٤٧ ج ١ ليقاظ الهمم  
<sup>٤١</sup> - ص ٢٨٥ ج ٤ إحياء علوم الدين  
<sup>٤٢</sup> - ص ٣٧٨ ج ٢ ب ١٨٨ الفتوحات المكية

النظر إلى حسننها، فإن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع أثر في ذلك الحمل ما تخيلاه من تلك الصورة في النفس فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بد-. وتعبّر عنه العامة بتوحم المرأة وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين أو الزوجين صورة كلب أو أسد وحيوان ما فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه على صورة ما وقع للوالدين<sup>٤٣</sup>. وكان الله في عون المرید حيث لا نجاة له من شيخه حتى ولو كان على بطن زوجته، ويأبى الشيخ إلا أن يكون شريكاً له في كل أحواله وهذا بالطبع أفضل من أن يأتي الولد على أخلاق سيئة أو على أخلاق وعلوم وهيئة الكلب أو الحمار، إلا أن الرسول ﷺ من جهة أخرى قد ثبت أنه قال: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة". فالأخلاق عند ابن عربي وبافلوف تورث وكذلك العلم، ولكن بافلوف قد قال بالمنعكس الشرطي وإلى ما هنالك، أما ابن عربي فلم يكلمنا قط عن جينيات الوراثة الخلقية لأن الكشف غير مطالب بالبراهين أو التعليل، فهكذا كُشف له الأمر أو الحقيقة وما على الرسول إلا البلاغ، وحتى إن جاهد للتعليل بالأسباب فلا أسباب لديه إلا الأرواح والملائكة أو العقول المفارقة عقول الكواكب، ولكنها ليست بالأسباب إلا للصوفي الذي زعم تسخير الملائكة، وحسب رواية الإبريز "إذا وقعت النطفة في الفرج فإنه يبقى مع تلك النطفة العدنان من الملائكة: عدد ملائكة نطفة الأب وعدد ملائكة نطفة الأم،

<sup>٤٣</sup> - ص ٥٠٨ - ٥٠٩ ج ٣ - ٣٨١ نفسه

ومجموع ذلك ثلاثمائة وست وستون ملكاً أنصافاً بينهما، إلا أن الرجل يزيد بعشرة لأن ملائكته أكثر-. فإذا خرج الولد إلى الدنيا خرج معه أولئك الملائكة وهم حفظة ذاته"<sup>٤٤</sup>. فانظر بالله عليك إلى دقة هذه العلوم التي اقترنت بالتحديد الرقمي، ولكنه بجعله الملائكة كعلل تفسيرية لم يعد صاحبنا أبهاً في معرفة أسباب الحمل، أو قل أن بصيرته وكشفه قد عجزا عن إدراك حقيقة التلقيح ولكن كيف ذلك وهو العليم بقيام الساعة ودروب الآخرة والمدرک لديبب النمل على الصخور الصم، فكيف يجهل ما كان عليه وما هو قريب منه وأنى له حفظ الوجود إن كان الحفظ والجهل بالوجود لا يلتقيان.

وعندما أراد الغزالي نفي الضعف عن واحد من الأحاديث الموضوعية لم ير أفضل من اعتباره إعجازاً نبوياً في المعرفة والعلم فقال: "وفي الخبر "حمى يوم كفارة سنة"- . وقيل للإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً فتدخل الحمى جميعها ويجد من كل واحد أماً فيكون كل ألم كفارة يوم"<sup>٤٥</sup>. فمفاصل الجسم البشري كما يقول الغزالي هي ٣٦٠ مفصل! أما ابن عجيبة الذي انتصر لمعرفته بالكواكب وعقولها وبعد أن جعل الكامل على صورة الله لتكون له النيابة والخلافة راح يقول عن الإنسان: "فجعل في ظهره أربعة وعشرين فقارة على عدد الساعات وفي جسده ثمانية

<sup>٤٤</sup> - ص ٤٥٨ ج ١ الإبريز

<sup>٤٥</sup> - ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ج ٢ إحياء علوم الدين

وعشرين مفصلاً على عدد المنازل-. وفيه ثلاثمائة وستة وستون عرقاً نافضة ومثلها ساكنة على عدد أيام العام"<sup>٤٦</sup>.

فله دره ما أعظم علمه بالتشريح! وإنه لفرق عظيم بين عدد المفاصل حسب الغزالي عنها عند ابن عجيبة، ولكن لا تناقض لأن الله لا يتجلى بأمر واحد مرتين أو بنفس الصورة لاثنتين فسبحان الله!

ومن جهليات ابن عربي الكشفية قوله "الكبد الذي هو بيت الدم"<sup>٤٧</sup>.  
فالكبد حسب رأيه اللدني هو بيت الدم وهو الذي "يعطي الدم للقلب"<sup>٤٨</sup>،  
وبالطبع فهو يقصد كبد البشر لا كبد الملائكة، وعن اللحم البشري يقول:  
"اللحم دم جامد"<sup>٤٩</sup>! وما هو المنى حسب رأيه؟ يقول: المنى "دم مقصور قصرته المثانة فتغير عن الدمية"<sup>٥٠</sup>، وعن الاستحاضة يقول:  
"فالاستحاضة مرض"<sup>٥١</sup>، والغزالي أيضاً يرى أن المنى خلاصة الدم الذي قامت المثانة بتنقيته، وها هو يشرح ذلك بقوله: "فتنزع القوة المركبة في كل حيوان صفوة الدم الذي هو أقرب إلى الاعتدال فيصير نطفة فيقبلها الرحم ويمتزج بها منى المرأة"<sup>٥٢</sup>. فاللقاح إذن هو التقاء منى

<sup>٤٦</sup> - ص ٢٢٠ ج ٢ الفتح الإلهي

<sup>٤٧</sup> - ص ٦١٠ ج ١ - الفتوحات المكية

<sup>٤٨</sup> - ص ٥٣١ ج ١ - نفسه

<sup>٤٩</sup> - ص ٣٧٩ ج ١ - نفسه

<sup>٥٠</sup> - ص ٣٨٢ ج ١ - نفسه

<sup>٥١</sup> - ص ٣٦٢ ج ١ - نفسه

<sup>٥٢</sup> - ص ٧٩ المظنون به على غير أهله

الرجل بمنى المرأة ولا شيء موجود اسمه البويضة! واللحم هو الدم المتجمد، ومن أجل تفسير آلية صنع اللحم بأسبابه وأساراه الباطنية يقول الغزالي: "الدم بنفسه لا يصير لحماً وعظماً وعرقاً وعصباً إلا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة-. لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم، فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره، ولا بد من ثالث يخلع عليه صورة الدم، ولا بد من-<sup>٥٣</sup>، "حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين إلى أكثر من مائة ملك، تركنا تفصيل ذلك للإيجاز!"<sup>٥٤</sup>، فهكذا المعرفة إذن وإلا فلا!! واعلم بأن "الكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم-"<sup>٥٥</sup>.

وعندما حدثنا الغزالي أيضاً عن الإدراك الحسي زعم أن القلب مركز الحواس لا الدماغ قائلاً: "فإذا أمر "القلب" العين بالانفتاح انفتحت وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت-. وكذا سائر الأعضاء"<sup>٥٦</sup>. إلا أن المعلوم اليقيني في أيامنا أن الأوامر تصدر عن الدماغ إلى الجوارح لأن الدماغ هو الحامل لمراكز الإدراك الحسي لا القلب، فأين ذهب كشفه ووارداته عن إصلاح ما أخطأ به الفلاسفة؟

<sup>٥٣</sup> - ص ١٢٠ ج ٤ إحياء علوم الدين

<sup>٥٤</sup> - ص ١٢١ نفسه

<sup>٥٥</sup> - ص ١١٣ نفسه

<sup>٥٦</sup> - ص ٥ ج ٣ نفسه

## - أصل الحيوانات:

لقد آمن الفيلسوف الصوفي "ابن طفيل" بحكاية وجود البشر كثمار للأشجار، فهناك كما يقول "جزيرة من جزائر الهند التي تحت خط الاستواء وهي الجزيرة التي يتولد بها الإنسان من غير أم ولا أب، وبها شجر يثمر نساء وهي التي ذكر المسعودي أنها جزيرة الوقواق"<sup>٥٧</sup>. ففي جزيرة الوقواق يتولد البشر من غير أم ولا أب والنساء ثمار الشجر وهي أخبار صادقة ولكن عن طريق الكشف!

والغزالي بدوره يكلمنا عن أصل الحيوانات وكأنما على نفس المنوال ليقول: اعلم أن "السداب". أصله من خراء الذباب"<sup>٥٨</sup>، فسبحان الله!! وكذلك الذباب الذي يتولد في الصيف من العفونات"<sup>٥٩</sup>، "وتتولد العقارب من البادروج ولباب الخبز، والحيات من العسل، والنحل من العجل المنخق المنكسرة عظامه والبق من الخل، وسام أبرص من القرنبيط، والخنافس من البعرة، ومن نوى النبق العقرب الجرارة، ومن الشعر الحيات، ومن الطين والمدر الفأر، ومن طين أصول القصب الدائم الرطوبة الطير ولا سيما طير الماء"<sup>٦٠</sup>. وما قولك إن كانت نظريته هذه

<sup>٥٧</sup> - ص ١١٦ ابن طفيل

<sup>٥٨</sup> - ص ٢٨ سر العالمين

<sup>٥٩</sup> - ص ٨١، ١٠٧ ج ٢ المظنون به على غير أهله

<sup>٦٠</sup> - ص ٧٤، ٧٦ نفسه



في تولد الحشرات والحيوانات وإلى ما هنالك لم يقلها إلا لتكون برهاناً  
على صدق أنبائه الكشفية؟!

ومن فقهياته التي رافقت علومه هذه فتواه بعدم جواز بيع الحشرات  
السامة حيث لا نفع منها برأيه "فلا يجوز - كما يقول - بيع الحشرات ولا  
الفأرة ولا الحية ولا التفاتة إلى انتفاع المشعبد بالحية"<sup>٦١</sup>. فهل عجز كشفه  
عن إدراك ما تؤديه هذه الحشرات من منافع جلى في البحوث العلية وأن  
ثمن سم العقارب والحيات أغلى من الذهب حتى قال بعدم جواز بيعها  
اعتماداً على انعدام الفائدة.

أما ابن عربي فيقول: "وخلق الجان من النار والطير والدواب  
البرية والبحرية من عفونات الأرض ليصفو الهواء لنا من بخارات  
العفونات"<sup>٦٢</sup>، بل وقال أيضاً بوجود جبال في السماء إذا أصابها العفن  
"كون الله في ذلك التعفين حيوانات هوائية جوية على صور حيات بيض،  
وحيوانات للاستدارة، أما هذه المستديرة فرأيناها، وأما الحيات البيض  
فرأينا من رآها-. وأن البزاة البلنسية إذا علت في الجو-. نزلت بها على  
مرأى من أصحابها وممن رآها والدي"<sup>٦٣</sup>. ولكن قوله "هذا خطأ فاحش  
فلا توجد في الجو حيات وربما كان هذا البازي آتياً من الجبل أو من

٦١ - ص ٦٥ ج ٢ إحياء علوم الدين

٦٢ - ص ١٢٣ ج ١ ب- الفتوحات المكية

٦٣ - ص ٤٥٢ ج ٢ ب- ١٩٨ نفسه

البحر ثم سقط إلى أسفل كما لو كان أتياً من السماء"<sup>٦٤</sup>، وكذلك زعم "أن في مركز الأرض يوجد حيوان في فمه ورقة خضراء، وهي خرافة قديمة"<sup>٦٥</sup>، وعن تكاثر الحيوانات البحرية يقول: "إن الله عز وجل ما جعل التكوينات التي هي دواب البحر في البحر الملح إلا في العذب منه خاصة، فلو لا وجود الهواء فيه والماء العذب ما تكوّن فيه حيوان"<sup>٦٦</sup>. وبذلك يكون ابن عربي قد برهن بأنه ليس الجهول لما في الأرض فقط ولا الجهول بما في السماء فقط، بل وهو الجهول أيضاً بما يجري في البحار، ولكن لا ضير على جهله إلا بانتسابه إلى الله عز وجل.

ويقول ابن عربي أيضاً عن وحدة الكائنات اتساقاً مع اعتقاده بوحدة الوجود في كتابيه "عناء مغرب" و"الفتوحات المكية": "فأكمل صورة ظهرت في المعدن صورة الذهب وفي النبات شجر الوقواق وفي الحيوان الإنسان وجعل "سبحانه" بين كل نوعين متوسطات كالكمأة بين المعدن والنبات، والنخلة بين النبات والحيوان، والنسناس والقرد بين الحيوان والإنسان"<sup>٦٧</sup>. وهل بعدها يحق لداروين أن يفتخر علينا بنظريته عن الصلة بين الأنواع وأصلها؟ لا، فالكشف هو الأعظم ونحن السباقون في كل شيء حتى الخرافة عندنا لم تنج من تقديسها!

<sup>٦٤</sup> - ص ٤٣٩ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

<sup>٦٥</sup> - ص ٤٤٢ نفسه

<sup>٦٦</sup> - ص ٤٥٣ ج ٢ ب ١٩٨ الفتوحات المكية

<sup>٦٧</sup> - ص ٤٣٧ ج ٣ ب ٣٧١ الفتوحات المكية، ص ٤١٠ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

## - البصر يقطع مسافة:

من الطريف أن الصوفي الذي يحدثنا عن إدراكه للملأ الأعلى والأدنى بالبصيرة والكشف والأنوار والعيان وإلى ما هنالك نراه جهولاً بكيف يكون إدراك العين التي في وجهه، فالرؤية عند الغزالي مثلاً تحدث بخروج شعاع من العين إلى الأجسام حتى تراها العين، وما علم المسكين بكشفياته التي أحاطت بكل شيء أن العين لا رؤية لها إلا عن طريق اللمس أي بلامسة الأشعة أو الضوء للشبكية فلا نور للعين ولا لها أشعة تقذفها لرؤية هذا الكوكب أو ذاك الشيء وإنما الرؤيا هي اصطدام الشعاع القادم من الكواكب أو الشيء بشبكية العين حتى تراه.

يقول الغزالي انطلاقاً من رأيه: إنه من أجل الرؤية يتعلق نور العين بالمرئي<sup>٦٨</sup> أو الأشياء، وبهذه النظرية علل انعدام الرؤيا عند الخفاش بقوله: "الخفاش: إن نور عينه ضعيف، والأعمش ضعيف نور البصر"<sup>٦٩</sup>. وقوله هذا يشير أيضاً إلى جهله بكيفية إدراك الخفاش للأشياء حيث أصبح من المعلوم أن الخفاش يدرك عن طريق الذبذبة لا عن طريق الرؤية أو العين ضعيفة النور على حد تعبيره.

أما ابن عربي كبير أهل التصوف فيشاركه هو الآخر في جهلياته قائلاً: "وما ثمَّ أسرع حركة من البصر في الحواس زمان لمح البصر

<sup>٦٨</sup> - ص ٧٩ ج ٤ القصور العوالي

<sup>٦٩</sup> - ص ٤٥ - ٤٦ مشكاة الأنوار

زمان تعلقه بالكواكب الثابتة فما فوقها وبينهما من البعد في المسافة ما لا يقطع في آلاف من السنين المعلومة عندنا بحركة الأرجل"<sup>٧٠</sup>، "فإن البصر لا شيء أسرع منه، فإن زمان لمح عین زمان تعلقه بالملموح-. وأبعد الأشياء في الحس الكواكب الثابتة التي في فلك المنازل، وعندما تنتظر إليها يتعلق للمح بها فهذه سرعة الحس"<sup>٧١</sup>، "وقوة السمع دون ذلك"<sup>٧٢</sup>، "فأين مسافة ما يقطعه البصر من مسافة ما يقطعه اللمس"<sup>٧٣</sup>.

ولكن هلا علم أن سرعة الضوء هي الأعظم مقارنة بسرعة انتقال الصوت؟ وإلا لما احتج ببطء اللمس المخصوص بالسمع عن سرعة البصر وهما في الإدراك سواء، فحيث وصل الشعاع إلى العين كانت الرؤية وحيث وصلت الذبذبة للأذن كان السمع، فليست العين أسرع ولا الأذن أبطأ فكلاهما في الإدراك سواء ولا فرق في إدراكهما عن طريق اللمس. وأي كشف هذا الذي يقول أننا ندرك الشمس مباشرة أو بشكل لحظي كما ظن ابن عربي في قوله عن إدراك البصر للكواكب، فهلا علم أيضاً أننا لا ندركها إلا بعد مضي ثمانية دقائق وهو زمان وصول شعاعها إلى العين بينما هي تكون قد انتقلت من المكان الذي بثت منه شعاعها الذي وصل إلينا بمسافة ما تقطعه في ثمانية دقائق. وظاهرة

<sup>٧٠</sup> - ص ٤٣١ ج ٤ ب ٥٥٩ الفتوحات المكية

<sup>٧١</sup> - ص ٧٠٢ ج ١ ب ٧٢ نفسه

<sup>٧٢</sup> - ص ٤٠٧ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

<sup>٧٣</sup> - ص ٥٣ ج ٣ ب ٣١٤ الفتوحات المكية

البرق والرعد مثلاً ظاهرة واحدة إلا أن العين تدرك البرق أولاً لأن الضوء أسرع في وصوله إليها، بينما انتقال الصوت أبطأ ولذلك يظن أن البرق والرعد ظاهرتان لا ظاهرة واحدة، أما ابن عربي فيقول: "فزمان إضاءة البرق-. عين زمان إدراك الأبصار فسبحان من ضرب الأمثال ونصب الأشكال ليقول القائل-. ما ثمَّ إلا الله"<sup>٧٤</sup>، ولكن إذا ما كان ابن عربي قد استخدم ظاهرة البرق التي لم يعرف فيها سرعة وزماناً لانتقال الضوء برهاناً على نفي الخلق من العدم أو برهاناً على وحدة الوجود بتوحيد "ما ثمَّ إلا الله" فإنه بخطئه بالمقدمات المدركة يستحيل عندها تصديقه بالنتائج التي أرادها، وعندها لا وحدة في الوجود لها ضم الخالق والمخلوق إلا من قبيل الظن المبني على الخطأ.

---

<sup>٧٤</sup> - ص ٧٠٣ ج ١ ب ٧٢ نفسه

## - مصدر المعادن:

الصوفي الذي تميزت معارفه بإدراك أسرار أو قوانين الوجود لا يفوته الحصول على أسرار صنع الذهب، فالإكسير الذي به تحويل المعادن الخسيسة إلى الثمينة هو الآخر من أسرارهِ التي حصلها، فحسب رواية القشيري "دخل سهل بن عبد الله صومعته" أي صومعة الشيخ إسحق" فوجد فيها سफطاً فيه قارورتان في واحد منهما شيء أحمر وفي الأخرى شيء أبيض، ووجد شوشقة ذهب وشوشقة فضة قال: فرمى بالشوشقتين فرجلة وخلط ما في القارورتين بالتراب، وكان على إسحق دين. قال ابن سالم: قلت لسهل: إيش كان في القارورتين؟ قال: أحدهما لو طرح منها وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهباً، والأخرى لو طرح منها مثقال على مثاقيل من الرصاص صار فضة، فقلت: وإيش عليه لو قضى منه دينه؟ فقال: أي دوست! خاف على إيمانه"<sup>٧٥</sup>.

فالصوفي إذن يزهد بالذهب بعد أن ملكه وخشية على إيمانه لم يعط الحق لأصحابه من هذا الذهب الذي صنعه! والشيخ أحمد بن سليمان هو الآخر "صنع مرة الكيمياء نحو خمسة قنابير ذهباً ثم نظر إليها وقال: أف للدنيا ثم أمر بطرحها في سرداب جامعه"<sup>٧٦</sup>. وهذا يعني أنه لا يجوز أن يهبه للدولة علماً تستعين به في بناء المرافق العامة من تسليح وتعليم وإلى

<sup>٧٥</sup> - ص ١٦٤ الرسالة القشيرية

<sup>٧٦</sup> - ص ٨٣ ج ٢ الطبقات الكبرى

ما هنالك مما تحتاجه الدنيا التي رفضها. ولكن هل صنع أهل التصوف الذهب بالفعل، أم سحروا أعين الناس حتى تخيلوا الذهب موجوداً أمام أبصارهم؟

المعادن الخسيسة تنقلب بفعل الإكسير الصوفي إلى معادن شريفة، فالإكسير حسب زعمه دواء يعيد العافية للمعادن المريضة فتعود ذهباً كما كانت بالأصل، فالذهب أصل المعادن كلها، وابن عربي يقول: "فاعلم أن المعادن كلها ترجع إلى أصل واحد-. وهي الذهبية، غير أنه لما كان أمراً طبيعياً عن أثر أسماء إلهية متنوعة الأحكام طرأت عليه في طريقه علل وأمراض-. فسمي كبريتاً أو زئبقاً يلتحمان ويتناكحان ليخرج بينهما جوهر شريف كامل النشأة يسمى ذهباً فيشرف به الأبدان"<sup>٧٧</sup>، فالأمراض التي حدثت أو طرأت على الذهب هي التي أوجدت أنواع المعادن ولذلك أصبح علم المعادن علماً بالطب"<sup>٧٨</sup>، وقصة الذهب من جهة أخرى كقصة الكمل مع الخلق فهو القطب بين المعادن وكل إنسان لو سلك الرياضات لعاد إلى أصله الإلهي أو لأصبح قطباً "فالكمال في الصنف المعدني حازه الذهب-. وجميع المعادن تطلب درجة الكمال لتحصلها-. وما نزل عن هذه الدرجة لمرض غلب عليه حدث له أسم آخر من فضة ونحاس"<sup>٧٩</sup>، ولما

<sup>٧٧</sup> - ص ٢٧٠ ج ٢ ب ١٦٧ الفتوحات المكية

<sup>٧٨</sup> - ص ٤٦٠ ج ٢ ب ١٩٨ نفسه

<sup>٧٩</sup> - ص ٥٩٢ ج ١ ب ٧٠ نفسه

كان الإكسير ضرورياً لتحويل كل المعادن إلى الذهب كان لتحصيله عند ابن عربي قصة، فعند وصوله إلى حضرة العرش وبعد أن علم الحقائق هناك من إسرائيل وجبريل وميكائيل وآدم ومحمد ﷺ قال: "ويُعلم من هذه الحضرة علم الأكاسير التي تقلب صور الأجساد-. وهناك يقف الواصل على كون الإكسير غذاءً مخصوصاً لذلك الجسد الذي يردّه ذهباً أو فضة بعدما كان حديداً أو نحاساً، وهو صحة ذلك الجسم وإزالة مرضه الذي كان قد دخل عليه في معدنه فصيره حديداً أو غير ذلك"<sup>٨٠</sup>. وبعد أن عرج ابن عربي إلى حضرة العرش التي منها أخذ علم الإكسير الذي به شفاء أمراض المعادن راح يقول: إنه ليس عليه بعدها أو على من كان له تحصيل هذا العلم أو المقام إلا "أن يأخذ وزن درهم أو أي وزن شاء من عين الإكسير فيلقيه على ألف وزن من أي جسد شئت من الأجسام، فإن كان قصديراً أو حديداً أعطاه صورة الفضة وإن كان نحاساً أو رصاصاً أسود أو فضة أعطاه صورة الذهب"<sup>٨١</sup> تماماً كتحصيل المقامات عن طريق الرياضات عند أهل السلوك والكامل سيصل ليكون على الصورة الإلهية والمعادن ستصبح على صورة الذهب.

---

<sup>٨٠</sup> - ص ٢٨٢ ج ٢ ب ١٦٧ نفسه

<sup>٨١</sup> - ص ٢٧١ ج ٢ ب ١٦٧ نفسه



## - الأرض ثابتة ومسطحة:

يقول الشيخ عبد الكريم الجيلاني: لكل شيء روح واعلم بأنني قد رأيت روحانية الموجودات جميعها وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل إلى الأبد"<sup>٨٢</sup>، "فأهل الكشف يعرفون اسم كل نجم ويخاطبونه باسمه ويسألونه عن سيره فيجيبهم ويخبرهم بما يقتضيه في فلكه"<sup>٨٣</sup>. وعند حديثه عن الفلك الثامن عشر أو الأرض خرج علينا بمعرفته الكشفية المطابقة للواقع كما هو أو كما هو عليه الأمر ليقول بعد أن استعار ثور المجوس: "الفلك الثامن عشر فلك التراب والبحر المحيط الذي فيه البهوت وهو حوت يحمل الأرض على منكبيه"<sup>٨٤</sup>، "والبهوت حوت في البحر المالح-. جعله الله الحامل للدنيا وما فيها فإن الله تعالى لما بسط الأرض جعلها على قرني ثور يسمى البرهوت وجعل الثور على ظهر حوت في هذا البحر يسمى البهوت وهو الذي أشار إليه الحق تعالى بقوله: ما تحت الثرى"<sup>٨٥</sup>، والأرض عنده سبع طبقات: "أما الطبقة الأولى-. يسكنها الحيوانات"<sup>٨٦</sup>، "أما الطبقة الثانية-. يسكنها مؤمنوا الجن-. وأما الطبقة الثالثة-. يسكنها مشركوا الجن-. وأما الطبقة الرابعة-.

<sup>٨٢</sup> - ص ٦٠ ج ٢ ب ٦٢ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل

<sup>٨٣</sup> - ص ٦٦ نفسه

<sup>٨٤</sup> - ص ٦٧ نفسه

<sup>٨٥</sup> - ص ٧٢ نفسه

<sup>٨٦</sup> - ص ٦٧ نفسه

يسكنها الشياطين"<sup>٨٧</sup>، "والطبقة الخامسة- يسكنها عفاريت الجن والشياطين- الطبقة السادسة- يسكنها المردة- الطبقة السابعة- يسكنها الحيات والعقارب- وحياتها وعقاربها كأمثال الجبال"<sup>٨٨</sup>، واعلم أن "الاسكندر- بلغ إلى باطن الأرض"<sup>٨٩</sup>.

ولكن إن كان الله لا يخطئ والملائكة لا تكذب فمن أين إذن كان كشفه، ومن هي تلك الأرواح التي زودته بهذه المعارف الخاطئة؟! وهل يعقل أن الرجل كذباً عمد إلى صبغ الخرافات الموروثة بالصيغة اللدنية لتصبح ذات قيمة مقدسة لا جدال على صحتها؟ الله أعلم!

ويقول أيضاً في كتابه "عقلة المستوفذ": إن "الأرض خلقت قبل الشمس والسموات"<sup>٩٠</sup>، "فالكشف يعطي أنها هي التي خلقت أولاً وأنها أول الأركان خلقها قبل بقية الأركان- وقبل السماوات وما فيها"<sup>٩١</sup> وإلا فعلى أي شيء ستستند السموات؟ وكشفياته الفلكية تقول: "بأن الأرض هي مركز الكون"<sup>٩٢</sup>.

وما الذي سيقوله عن أصل الأرض؟ الرجل على ما يبدو كان متأثراً بتجربة الحصول على الزبدة من اللبن أو بنظرية المصريين

٨٧ - ص ٦٨ نفسه

٨٨ - ص ٦٩ نفسه

٨٩ - ص ٦٧ نفسه

٩٠ - ص ٤١٧ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

٩١ - ص ٤١٩ نفسه

٩٢ - ص ٤٤٠ نفسه

القدماء عن تشكل الأرض حتى راح يقول: "الأرض خلقت من تموج الماء حتى أزيد فكان ذلك الزيد عين الأرض.- فالأرض للماء بمنزلة الولد والهواء والزبد للماء بمنزلة أولاد الصلب، فالماء لهما أب وهو للنار جد.- فنبو آدم أعمام للأرض"<sup>٩٣</sup>. والحمد لله أنه لم يبخل علينا بشرح هذا السر المكنون ليقول: "وكان عرشه على ذلك الماء قبل وجود الأرض والسماء فأرسل النَّفْسَ فتموج الماء من زعره وأزبد.- فأنشئ سبحانه من ذلك الزبد الأرض مستديرة مدحية الطول والعرض.- وثبت الأوتاد الأربعة للأربعة الأركان فانحفظ بهم الثقلان فأزالوا ميد الأرض وحركتها فسكنت"<sup>٩٤</sup>. وإنما لملاحظة ثاقبة بالفعل حين ربط كتلة الزبدة المستديرة على وجه اللبن بشبهه مع الأرض التي كانت في بدايتها كروية متحركة حتى جعلها الله مسطحة كالبساط ليتسنى لأبدال التصوف الجلوس على أركانها الأربعة، وهكذا سكنت في نهاية المطاف بهؤلاء الأبدال، فالأرض من "أعز الأجسام لا تزاحم المتحركات بحركتها لأنها لا تفارق حيزها.- فقد سكن ميدها جبالها التي جعلها الله أوتادها لما تحركت من خشية الله آمنها الله بهذه الأوتاد فسكنت سكون الموقنين"<sup>٩٥</sup>، "فلما خلق الله السماء بسط الأرض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت له ولذلك مادت ولو بقيت كرة ما مادت، فخلق الله الجبال وأدار بالماء المحيط بها جبلاً جعله لها

<sup>٩٣</sup> - ص ٦٨ ج ٢ ب ٢٩٨ الفتوحات المكية

<sup>٩٤</sup> - ص ٤ ج ١ نفسه

<sup>٩٥</sup> - ص ٤٥٥ ج ٢ ب ١٩٨ نفسه

كالمنقطة "أو الطوق" وجعل أطراف قبة السماء عليها-. وأما الزرقة التي ينسبها الناس إلى السماء فإنما هي لبعد السماء عن البصر كما ترى الجبال إذا بعدت سوداء وزرقاء وهي بيض<sup>٩٦</sup>، واعلم بأن "الأرض ولد الولد وهو ما جمد من الماء" أي الزبدة" وما لم يجمد يبقى ماء على أصله والأرض على ذلك الماء"<sup>٩٧</sup>، وكيف للأرض من جهة أخرى أن تتحرك والبيت المعمور على سمت الكعبة، فقد "أوجد الله" كما يقول" في هذه السماء البيت المعمور المسمى بالضراح وهو على سمت الكعبة-. والسماء ساكنة لا حركة فيها ولهذا لا ينتقل البيت المعمور من سمت الكعبة لأن الله جعل هذه السموات مستقرة هي لنا كالسقف للبيت-. وأجرام السموات أجرام شفافة وهي مسكن الملائكة"<sup>٩٨</sup>، والكتاني بمعرض حديثه عن إنشاء دولته الباطنية التي ستدير شؤون الكون قال بالنجباء والأبدال والعمد وقال: إن "العمد أربعة-. سكناهم في زوايا الأرض"<sup>٩٩</sup> الأربعة.

فعرش الله عز وجل إذن على الماء ولما تنفس سبحانه تحرك الماء فكانت الزبدة على شكل الكرة ثم سطحها ﷻ وجعلها مربعة الأركان وأسكن بزواياها الأبدال الأربعة ونصب حولها جبلاً اسمه "ق" لتستند عليه السماء أو الأكر السماوية، فالسماء برأيه أو كما كشف له كغطاء

<sup>٩٦</sup> - ص ٦٢ ج ٢ الكبرى الأحمر  
<sup>٩٧</sup> - ص ٤٥٩ ج ٣ ب ٣٧٣ الفتوحات المكية  
<sup>٩٨</sup> - ص ٤٤٣ ج ٢ ب ١٩٨ نفسه  
<sup>٩٩</sup> - ص ٣٥٢ دراسات في التصوف الإسلامي

القدر وهذا الغطاء على شكل أكر أو أنصاف كريات تستند على قاف أو على حواف القدر، فقد كان ابن عربي قدس سره "يعتقد أن الأرض مسطحة مثل البساط والسماوات فوقها على هيئة أنصاف كرات-. فالأرض كالבساط فهي مدحية دحاها من أجل السماء أن تكون عليها فمادت فقال بالجبـال عليها فتقلت فسكنت بها"<sup>١٠٠</sup>.

وجبل "قاف" هذا المحيط بالأرض والذي تستند عليه السماء محفوظ بالملائكة والملك الذي يحرسه مسمى باسمه "فإنه" "أي قاف" مقعد هذا الملك وبيده حكم الأرض وحكم الزلازل والرجفات والخسف"<sup>١٠١</sup>، وبهذا يكون ابن عربي قد حوّر بعض الشيء في أساطير القدماء ليجعلها ناطقة ببيئة الزبدة، ولكن جبل قاف والحية وإلى ما هنالك ليس إلا أسطورة أحيائها أهل التصوف بما لديهم من العيان والكشف، ومن أجل تصديقها روى لنا رؤية أحدهم لجبل قاف لما حُمل إلى هناك قائلاً: "أخبرني موسى السوداراني وكان من الأبدال المحمولين قال: لما مشيت أنا ورفيقي إلى الجبل المسمى قاف وهو جبل محيط بالبحر المحيط بالأرض وقد خلق الله حية على شاطئ ذلك البحر بين البحر والجبل دارت بجسمها فقال لي صاحبي: سلّم عليها فإنها ترد عليك! قال موسى فسلّمت عليها. فقالت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم قالت لي:

---

<sup>١٠٠</sup> - ص ٤٧١ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

<sup>١٠١</sup> - ص ٤١٩ نفسه

كيف حال الشيخ أبي مدين؟<sup>١٠٢</sup>، وله أيضاً رواية أخرى مع "السدراني" فهكذا ورد الاسم هذه المرة يقول فيها: "أخبرنا صاحبنا موسى السدراني وكان صاحب خطوة محمولاً قال: لما وصلت إلى جبل قاف، وهو جبل عظيم طوّق الله به الأرض وطوق هذا الجبل بحية عظيمة قد جمع الله رأسها إلى ذنبها بعد استدارتها بهذا الجبل، قال موسى: فاستعظمت خلقها، قال: فقال لي صاحبي الذي كان يحملني سلّم عليها فإنها ترد عليك. قال: ففعلت. فردت السلام وقالت: كيف حال الشيخ أبي مدين؟ فقلت لها: وأنتي لك بالعلم بهذا الشيخ؟ فقالت: وهل على وجه الله أحد يجهل الشيخ أبا مدين؟ فقلت لها: كثير يستخفونه ويجهلونه ويكفرونه! فقالت: عجباً لبني آدم إن الله منذ أنزل محبته إلى من في الأرض وإلى الأرض عرفته جميع البقاع والحيوانات وعرفته أنا من جملة من عرفه، فما تخيلت أن أحداً من أهل الأرض يبغضه ولا يجهل قدره كما هم أهل السماء في حق من أحبه الله"<sup>١٠٣</sup>. واعلم بأن جبل قاف عظيم الارتفاع جداً فالسدراني "وصل جبل قاف المحيط بالأرض فصلى الضحى بأسفله وصلى العصر على ذروته، سئل عن ارتفاعه في الهواء فقال مسيرة ثلاثمائة سنة وأخبر أن الله طوق هذا الجبل بحية اجتمع رأسها بذنبها"<sup>١٠٤</sup>.

١٠٢ - ص ٢٠٠ ج ٣ بـ ١٣٠ الفتوحات المكية

١٠٣ - ص ١٣٠ ج ٣ بـ ٣٣٤ نفسه، ص ٦٨٢ - ٦٨٣ ج ٢ بـ ٢٩٧ نفسه

١٠٤ - ص ٧٢ روح القدس في محاسبة النفس

أما الشعراني فيقول: "وذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في الفتوحات قال: ذهبت أنا وبعض الأبدال إلى جبل قاف فمررنا بالحية فقال لي البذل: سلّم عليها-".<sup>١٠٥</sup> وكذلك الشيخ محمد الأزهري العجمي "قال: وصل به "أي من حملة" إلى جبل قاف وأراه الحية الدائرة بالجبل خضراء ورأسها على ذنبا دائرة بالجبل"<sup>١٠٦</sup>، والشيخ عبد الرحمن المغربي هو الآخر "بلغ جبل قاف ورأى الحية الدائرة بالجبل رأسها على ذنبا"<sup>١٠٧</sup>.

وليس السوادراني أو ابن عربي هو الوحيد الذي استخدم قاف والحية وسيلة من وسائل تزكية شيخه أبو مدين، فالرفاعيون لهم شيخهم أيضاً "وقال سيدي مجرد الأكبر رضي الله عنه: كنت أمشي تحت جبل قاف فجاء وقت الصلاة فتوضأت وصلّيت وقرأت الورد الشريف ثم ذكرت اسم سيدي أحمد، فلما أتممت جاءت الحية عظيمة وفي فمها درة فألقته أمامي ثم أنطقها الله فقالت: خذ هذه الهدية مني لحضرة سيدي أحمد، فتعجبت وقلت: أتعرفين سيدي أحمد؟ فقالت: عجيب هذا وهلّ على

---

١٠٥ - ص ١٥٤ ج ١ الطبقات الكبرى

١٠٦ - ص ٧٣ سير الأولياء

١٠٧ - ص ١١١ نفسه

بساط الأرض من رطب ويابس من يجهل سيدي أحمد الرفاعي؟ بلِّغهُ  
سلامي فأنا من مردييه"<sup>١٠٨</sup>.

فالأرض إذن مسطحة والأبدال على زواياها الأربعة وهي على  
البحر أو محاطة به وجبل قاف الذي ارتفاعه يساوي مسيرة ثلاثمائة سنة  
على الأقدام يحيط بالأرض وعليه تستند السماء أو أكر السماء وعلى  
شاطئ البحر توجد حية عظيمة خضراء اللون ناطقة تحيط بالأرض حتى  
التقى رأسها بذنبها، ولا عمل لها على ما يبدو إلا تزكية هذا الشيخ  
الصوفي أو ذلك، وما أكثر الذين رأوا هذا الترتيب الجغرافي من الأولياء،  
وما أكثر أحاديثهم مع تلك الحية. ولكن من الذي حمل الصوفي إلى هناك  
وقد حُمل بالفعل؟ ومن هي الحية التي كلمته وقد تكلم معها بالفعل؟ بالتأكيد  
ليس الله ولا الملائكة هم المصدر لخطأ هذا التصور.

ومن الجهليات الكشفية لكبير أولياء التصوف قوله: "وخلق الله  
تعالى آدم بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشر ألف سنة"<sup>١٠٩</sup>، حتى أن  
قوله بأكثر من آدم"<sup>١١٠</sup> لا يعفيه من هذا الجهل على الأقل أمام الخبر  
القرآني الذي ربط ما بين قابيل وجهله لفكرة المقابر التي استفادها من  
الغراب، وهذه المرحلة بالطبع أقدم عهداً من المدافن البدائية التي تم تقدير

<sup>١٠٨</sup> - ص ٤٢٨ - ٤٢٩ قلادة الجواهر

<sup>١٠٩</sup> - ص ٨ ج ١ الكبرى الأحمر

<sup>١١٠</sup> - ص ٥٤٩ ج ٣ ب ٣٩٠ الفتوحات المكية



عمرها عند علماء الآثار بملايين السنين. وعن مدة بقاء الجنس البشري على الأرض يقول ابن عربي من وحي التحديد التوراتي: لقد "جعل سبحانه مدتنا في الدنيا سبعة آلاف سنة"<sup>١١١</sup>. ولكن من غير المعقول أن يكون عمر الأرض حتى زوال الجنس البشري مساوياً إلى أربع وعشرين ألف سنة وقد مضت عليها الملايين والإنسان لم ينقرض بعد!

وعن عمر الأهرامات المصرية إلى زمانه يقول: "بلغنا أنه وجد مكتوباً بالقلم الأول على الأهرام أنها بنيت والنسر الطائر في الأسد وهو الآن في الجدي"<sup>١١٢</sup>. ولم يزد ابن عربي على قوله هذا بشيء، وجاء العارف عبد الكريم الجيلي وفض أسرار الأمر قائلاً: "وهو الآن" أي النسر الطائر" في الدلو فقد قطع نحو عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك إلا بعد ثلاثمائة ألف سنة-. هذا عمر الأهرام"<sup>١١٣</sup>، "في حين أن علماء الآثار قدروا-. عمر الأهرام بما لا يزيد عن ٥٠٠٠ سنة"<sup>١١٤</sup>. وهكذا أخطأ الشيخان في تحديد عمر الأهرامات خطأ لا إصلاح له بالتأويل ولا بالباطن ولا بالإسرار.

وعند حديث ابن عربي عن الفرات والنيل برز ولعه العظيم في تعميم وحدة الوجود أو وحدة الكثير التي اعتقدها حتى مع آرائه الجغرافية

<sup>١١١</sup> - ص ٥٠ ج ١ نفسه

<sup>١١٢</sup> - ص ٩ ج ١ الكبرى الأحمر

<sup>١١٣</sup> - ص ٩ نفسه

<sup>١١٤</sup> - ص ٤٤٤ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

ليقول: "يخرج النيل والفرات من سدرة المنتهى فيمشيان إلى الجنة ثم يخرجان إلى دار الجلال فيظهر النيل في جبل القمر ويظهر الفرات من أردن الروم وهما في غاية الحلاوة وإنما تغير طعمهما عما كانا عليه في الجنة من مزاج الأرض"<sup>١١٥</sup>.

فالمنبع إذن مشترك لكليهما إنه من سدرة المنتهى وطعم ماءهما هناك حلو ربما أحلى من الدبس والسكر، وقد مرا سوياً بالجنة ومن الجنة خرجا بعدها إلى الأراضي التي غيرت طعمهما عما كانا عليه، وهل أعظم من ذلك برهاناً على وحدة السماء بالأرض ومنبع النهرين!؟

أما الغزالي وبالكلام الموثق يقول واصفاً لنبع النيل: اعلم أن "زعيم بن بلعام قد أراد أن ينظر من أين منبع النيل، فلم يزل يسير حتى وجد الخضر فقال له: ستدخل مواضع ثم أعطاه علائمها فوصل إلى جبل وفيه قبة من ياقوت على أربعة أعمدة والنيل يخرج من تحتها." ولما وصل إلى هناك حدثنا عما حدث له قائلاً: "وكنت شيخاً أبيض الشعر فهب علي نسيم سؤد شعري وأعاد شبابي"<sup>١١٦</sup>. فمن قبة الياقوت منبع النيل إذن، والخضر هو الدليل إلى هذه المعرفة التي أعادت الكهل إلى شبابه!

---

<sup>١١٥</sup> - ص ٣٩ ج ٢ الكبرى الأحمر  
<sup>١١٦</sup> - ص ١١٠ - ١١١ سر العالمين

وماذا عن علم ابن عربي أيضاً بآثار القدماء غير الفراعنة؟ يقول عن رجل عملاق رآه: "رأينا أثر رجله في الساحل وكان أمامي بقليل فلم أحقه، فاكتلت طول قدمه في الرمل ثلاثة أشبار وثلاثي شبر وكان من قوم يونس، وبعث إلينا بكلام من حوادث تحدث بالأندلس حيث كنا سنة خمس وثمانين وسنة ست وثمانين وخمسمائة، فما ذكر شيئاً إلا رأيناه وقع كما ذكر"<sup>١١٧</sup>. "فليس في العالم عندنا في نظرنا شيء موجود إلا ولنا فيه شهود عين، هذا ما يقوله ابن عربي أما نحن "فإن علماء الإنسان لم يجدوا شيئاً من هذا القبيل حتى الآن في الحفريات"<sup>١١٨</sup>، فمن أين إذن جاءنا بهذه القدم الفارحة الطول؟ إنه الكشف! وها هو أيضاً ينبؤنا عن "رجال الماء" وهم - كما يقول - قوم يعبدون الله في قعور البحار والأنهار لا يعلم بهم كل أحد"<sup>١١٩</sup> إلا أهل العيان والإدراك اللدني، وها هو السداراني قد دخل أرضاً ذات مرة "ورأى النمل فيها على قدر المعز عجبية الخلق، ولقي عجوزاً خرسانية واقفة على البحر والأمواج تصطفق بين ساقيه"<sup>١٢٠</sup>. ولكن إياك أيها القارئ والظن السيء فالرجل لم يقل إلا بما أدرك فربما أنه من الواصلين لمقام "كنت يده وبصره-". ولكن مع غير الله! فاحذر الإنكار وسلّم تسلم.

١١٧ - ص ٤١٥ ج ٢ ب ١٩٨، ص ٢٤٣ ج ١ ب ٣٦ الفتوحات المكية

١١٨ - ص ٤٣٩ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

١١٩ - ص ١٩ ج ٢ ب ١٣ الفتوحات المكية

١٢٠ - ص ٧٥ روح القدس في محاسبة النفس

## - علم الفلك:

وآراء ابن عربي الكشفية في الفلك تقول: بأن الأرض هي مركز الكون ويعلوها كوكب وهو القمر ثم عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل. ولكن من المعروف يقيناً أن القمر تابعاً للأرض وعطارد بالنسبة لها أبعد من الزهرة وهكذا يكون قد وقع في خطئين جسيمين<sup>١٢١</sup>، وعن مركزية الأرض يقول: اعلم أن "السموات كالأكر وأن الأرض في جوف هذه الأكر-. وليس الأمر في ذلك إلا على ما ذكرناه شهوداً وكشفاً"<sup>١٢٢</sup>. إلا أن مشاهداته وكشفياته لم تعد قادرة على خديعة أحد خاصة في أيامنا هذا حيث أصبح معلوماً أن الأرض ليست إلا عضواً في المجموعة الشمسية فلا هي مركز الكون ولا السموات أكر تستند على جبل قاف وما الأرض كما قال رسول الله ﷺ إلا كحلقة في فلاة.

ولما خشي ابن عربي على الأرض من ثقل السموات جعل الكامل من أولياء التصوف عموداً مهمته رفع قبة السماء من الهبوط على الأرض، ولذلك "قال في قوله تعالى: وانشقت السماء فهي يومئذ واهية: إنما انشقت لذهاب عمدها الذي كان يمسكها وهو الإنسان الكامل، فإذا زال

١٢١ - ص ٤٤٠ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

١٢٢ - ص ٤١٧ ج ٣ ب ٣٧١ الفتوحات المكية

سقطت إلى الأرض، والسماء معلوم أنها جسم شفاف صلب" ١٢٣ كالبلور تماماً.

والسماء الأولى والثانية برأيه باردتان رطبتان، ولكن من المعلوم عند علماء عصرنا أن درجة الحرارة على ارتفاع ٤٠٠ ميل فقط في الفضاء تبلغ حوالي  $4000^{\circ}$  ف. وليست هذه المنطقة التي اعتبرها السماء الأولى باردة كما ظن هو بل إن الأمر وهو كوكب هذه السماء في اعتباره تصل درجة حرارته نهاراً إلى أكثر من  $200^{\circ}$  ف، والسماء الرابعة أي الشمس في اعتباره يابسة ولكن كلنا نعلم أن الشمس كتلة غازية متحللة" ١٢٤.

والأغرب من ذلك كله أن الكواكب برأيه ذات محطات للتوقف والراحة، والعجيب أنه بعد أن قال عن الكواكب أن لها وقوفاً معلوماً مقدراً في أزمان مخصوصة، أعقب على هذا كله بقوله: أنه علم ذلك "شهوداً وكشفاً" ١٢٥، ولم لا؟ طالما الكواكب كما يقول الغزالي "جواهر شريفة سماوية" ١٢٦. وهل لأحد عندها منع العاقل عن التوقف والراحة؟ فالكواكب كائنات حية ذات أرواح وعقول وأرواحها ملائكة، وللصوفي القدرة على إنزالها وتسخيرها في شؤونه وإن كان تنزلها كما يقول

---

١٢٣ - ص ٦٠ - ٦١ ج الكبريت الأحمر  
١٢٤ - ص ٤٤١ الروحية عند محيي الدين ابن عربي  
١٢٥ - ص ٤٥٣ نفسه  
١٢٦ - ص ٢٩ ج إحياء علوم الدين

الشعراني هو "تنزل معنوي ومشاهدة صور خيالية، فإن ذات الكواكب لم تبرح في السماء عن مكانها"<sup>١٢٧</sup>. واعلم كما يقول ابن سبعين أيضاً أن "سبب حركات الفلك جواهر مفارقة". سميت أمراً<sup>١٢٨</sup> وهلا علمت كما يقول ابن عربي أن "حركات الأفلاك مخاض لولادة الأفلاك". فهم في الأفلاك كما هي بطون الأمهات الأجنة ولهذا سموا بالجنة"<sup>١٢٩</sup>. واعلم أيضاً بأن الهواء موجوداً في السماء وما الأصوات المنبثّة عن سير الكواكب إلا عن تماسها به "فالأفلاك تحدث بحدوث سير الكواكب وهي سريعة السير في جرم السماء-. فتخترق الهواء المماس لها فيحدث لسيرها أصوات ونغمات مطربة-. وجعل سيرها للناظر بين بطء وسرعة وجعل لها تقدماً وتأخراً في أماكن معلومة من السماء-. فإن أجرام السموات متماثلة الأجزاء"<sup>١٣٠</sup>. فكشفه إذن قال له بوجود الهواء في السماء، رغم أنه لا وجود للهواء في جو الأجرام السماوية ولا الهواء هو المحرك للأجرام لأن حركتها عن قوة تحدث عنها قوانين نيوتن وقول ابن سبعين بأن الملائكة هم المحركون للكواكب أو العقول بأن الكواكب كائنات حية ذات أرواح لا معنى تفسيري له ولا علاقة له بالعلم والمعرفة، فليس للكواكب أن تتوقف ولا أن تسرع حركتها ولا بنيتها

١٢٧ - ص ٥٠ ج ٢ م ١٩م اليواقيت والجواهر

١٢٨ - ص ٢٢٧ بد العارف

١٢٩ - ص ٤٣ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

١٣٠ - ص ٤١٦ - ٤١٧ ج ٣ ب ٣٧١ الفتوحات المكية

متمائلة التركيب أو العناصر ولكن لا حيلة لنا أمام الكشف وها هو الغزالي يقول: "الكواكب أجسام مشفة"<sup>١٣١</sup> أو شفاقة فهي شريفة "وأجرام السموات" عند ابن عربي "أجرام شفاقة وهي مسكن الملائكة"<sup>١٣٢</sup>، بل حتى الشمس جعلها مسكن الأقطاب، فهي "مسكن قطب الأرواح الإنسانية"<sup>١٣٣</sup>. ولكن كيف له أن يطبق حرارة الشمس ونيرانها العظيمة؟ لا، لا، فالشمس غير حارة والصوفي بالطبع هو الأعم ومن كان يجرها في سيرها فهو الخبير بطبيعتها وشؤونها فالأولياء "يُكَلِّفون أحياناً بجر الشمس، وكان يصح للصوفي أن يعتذر عن إخلاف الميعاد بأن دوره كان حلّاً في جر الشمس"<sup>١٣٤</sup>، ولذلك حق لها الكسوف لموت ابراهيم الأعزب، فقد "كسفت الشمس يوم موته". فقال الشيخ علي القرشي رضي الله عنه وكان حينئذ بدمشق: قد كُسفت اليوم شمس السماء وغابت شمس الأرض"<sup>١٣٥</sup>، بل "إن الرجراجي جعل رجله على طرف قوس قزح فلم يزل يمشي إلى أن هبط من الطرف الآخر"<sup>١٣٦</sup>.

الشمس ليست حارة وإلا لما سكن فيها القطب، والفيلسوف الصوفي "ابن طفيل" يقول: "إن الشمس لا تسجّن الأرض-. لأن الشمس في ذاتها

١٣١ - ص ٣١ كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء

١٣٢ - ص ٤٤٣ ج ٢ ب ١٩٨ الفتوحات المكية

١٣٣ - ص ١٣٥ فلسفة التأويل

١٣٤ - ص ٢١٠ ج ١ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ص ٩٣ التصوف بين الحق والخلق

١٣٥ - ص ٣٣٧ قلادة الجواهر

١٣٦ - ص ١٩٢ العقلية الصوفية ونفسانية التصوف

غير حارة ولا الأرض تسخن بالحركة لأنها ساكنة- إن تسخين الشمس للأرض إنما هو على سبيل الإضافة لا غير فإن الحرارة تتبع الضوء أبدأ<sup>١٣٧</sup>، ونور الشمس كما يقول الدباغ "إنما هو من نور الأرواح المؤمنة"<sup>١٣٨</sup>، "الذي هو من نوره ﷺ"<sup>١٣٩</sup>. فلا نار ولا حرارة ولا كتلة غازية ملتهبة! وابن عربي يرى هو الآخر أن "نور الشمس ما هو من حيث عينها بل هو من تجلٍ دائم لها من اسمه "النور"- والناس "بجهلهم" يضيفون ذلك النور إلى جرم الشمس"<sup>١٤٠</sup>، وعليه فما أغلظ حجاب أهل الظاهر وبعدهم عن حقائق المعرفة الكشفية!

أما الغزالي ومعه كل أهل المعرفة فقد عجزت علومه الكشفية أو اللدنية عن معرفة أن الأرض هي التي تتحرك حول الشمس حتى قال أن الشمس هي التي تتحرك حول الأرض، فكيف لبصيرته لم تدرك خطأ بصره حتى انتصر للبصر على البصيرة، وها هو يقول: "انظر إلى مسير الشمس في فلکها في مدة سنة، ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار"<sup>١٤١</sup>، "فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر

١٣٧ - ص ١١٩ حي بن يقظان

١٣٨ - ص ٣١٩ ج ٢ الإبريز

١٣٩ - ص ٢٠٤ نفسه

١٤٠ - ص ١٣٥ فلسفة التأويل

١٤١ - ص ٤٤٦ ج ٤ إحياء علوم الدين



الشتاء، وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ"<sup>١٤٢</sup>، وعندما أراد السهورودي المقتول شرح نظريته في الإشراق استخدم الشمس مثلاً للتسليم بصدق رأيه، فكما أن الشمس دائمة الإشعاع دونما نقصان كذلك فإن نور الأنوار دائم الإشراق بلا نقصان، ولكن "الثابت فلكياً أن الشمس كجرم سماوي تقل حرارتها بدوام إشعاعها"<sup>١٤٣</sup>، وبالتالي كتلتها. وكذلك رأى أن الأفلاك أجسام أثيرية"<sup>١٤٤</sup> ليست بصلبة بل شفافة كما زعم الغزالي وابن عربي، والشمس حسب كشافيات السهورودي "تدور حول الأرض"<sup>١٤٥</sup>، أما عن حركات الأفلاك فيعملها بالشعاع النوراني حيث "يفيض على نفوس الأفلاك شعاع نوراني من الأنوار القاهرة، ومن نور الأنوار يسبب هذه الحركات-. والحركة كلها ترجع في النهاية إلى النور الأول"<sup>١٤٦</sup>.

ولكن ماذا أخيراً لو أتيج لنا تعريف المنهج الخرافي من خلال الإحيائية البدائية في التفسير أو في تعليل الظواهر الطبيعية؟ فالسببية عندها كائنات حية ولا فرق بين ملائكة وأقطاب وأرواح. والعلاقة أيضاً بين الظواهر الطبيعية إنما هي علاقة أخلاق وفضائل بأخلاق وفضائل

<sup>١٤٢</sup> - ص ٤٤٦ نفسه

<sup>١٤٣</sup> - ص ١٧٥ أصول الفلسفة الإشراقية

<sup>١٤٤</sup> - ص ٢٣٩ مدخل إلى التصوف الإسلامي

<sup>١٤٥</sup> - ص ٢٧٠ أصول الفلسفة الإشراقية

<sup>١٤٦</sup> - ص ٢٧٢ - ٢٧٣ نفسه

أخرى، وعلاقة العارف بموضوعه ستكون متمثلة في التعرف لما يرضي تلك الكائنات أو أرواح الظاهرات أو لما يرغمها ولا تسخير لها بغير ذلك، وهكذا تكون العودة إلى العزائم والطلاسم والقرابين والبخور وهو ما يعنيه الفكر الصوفي في بعده عن طبيعة العقل والمنهج العلمي الذي به تسخير الظاهرات وفق قوانين عامة تشمل كل من استخدمها أو عرفها.

## - الرعد والبرق:

يقول الزنجاني من منطق المنهج البدائي الذي لا صلة بينه وبين العلم الذي حثنا عليه القرآن: "الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفندتهم، والمطر بكاؤهم"<sup>١٤٧</sup>. وهل يمكن اعتبار قوله هذا تفسيراً لظاهرتي البرق والرعد والمطر؟ لا، وأين هي الغاية من العلم التي لا وجود لها دون إيجاد التسخير أو المنفعة من التفسير، أما ابن عربي الذي اعتبر كل الظواهر أسماء إلهية يقول عن الرعد: إنه "الملك المسمى الرعد وهو مخلوق من الهواء كما خلقنا نحن من الماء"<sup>١٤٨</sup>، ويقول أيضاً: إن الرعد هو الصوت الناتج عن تنفس الرحمن، فقد "ظهر عن هذا النفس أصوات الرعود كالحروف المجرورة وهبوب النسيم وهي كالحروف المهموسة"<sup>١٤٩</sup>. فالرعد إذن يمثل الحروف الصوتية المجهورة للرحمن، كما أن هبوب النسيم يمثل الحروف المهموسة، ولما كان تفسير الظواهر يعتمد على علاقة الظواهر بعضها ببعض فهي عنده كائنة عن علاقة الأسماء الإلهية بعضها ببعض "فبما في السحاب من الماء - كما يقول - يثقل فينزل-. فإن الأصغر يطلب الأعظم، فإذا ثقل الهواء اعتمر "أي اتكأ" على الهواء فانضغط الهواء فأخذ سفلأ فحك وجه الأرض، فتقوّت الحرارة التي في الهواء فطلب الهواء-. الصعود، يطلب الركن الأعظم،

<sup>١٤٧</sup> - ص ٣٣٢ تلبيس إبليس

<sup>١٤٨</sup> - ص ٤٣٩ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

<sup>١٤٩</sup> - ص ٣٩١ ج ٢ ب ١٩٨ الفتوحات المكية

فوجد السحاب مترامكماً فمنعه من الصعود لتكاثفه فأشعل الهواء، فخلق الله في تلك الشعلة ملكاً سماه برقاً.- ثم صدع الوجه الذي يلي الأرض من السحاب فلما مازجه كان النكاح، فخلق الله من ذلك الإلتحام ملكاً سماه رعداً، فسبح بحمد الله، فكان بعد البرق لا بد من ذلك.- فكل برق يكون على ما ذكرناه لا بد أن يكون الرعد يعقبه لأن الهواء يصعد مشتعلاً فيخلقه ملكاً يسميه برقاً، وبعد هذا يصدع أسفل سحاب فيخلق الله الرعد مسجاً بحمد ربه<sup>١٥٠</sup>.

وهذا النص يمكن اعتباره بالفعل النص الأمثل لتعامل المنهج البدائي في تفسير الظواهر الطبيعية، فليست العلاقة بين الظواهر تبعاً لهذا المنهج إلا علاقات بين الكائنات الحية، ولما كانت العلاقة هكذا فلا بد من الحب والنكاح والإنجاب والطلاق. فالرعد أو هذا الملك مولود عن نكاح الهواء والأرض، والهواء المشتعل هو الملك الذي سماه الله برقاً وبلغه أخرى فالرعد لديه هو صوت احتكاك الوجه السفلي للهواء المضغوط بين السحاب والأرض، والبرق هو اشتعال الوجه العلوي لهذا الهواء. والعلاقة إذن حسب رأيه هي علاقة الأرض والهواء من جهة، والهواء والسحاب من جهة أخرى، إلا أن البرق والرعد ظاهرة واحدة ناتجة عن اصطدام

---

<sup>١٥٠</sup> - ص ٤٠٢ ج ٢ ب ١٩٨ الفصل الخامس الفتوحات المكية

سحابتين لا ظاهرتين تسبق إحداهما الأخرى، وما صوت الرعد إلا تفرغاً  
لشحنة كهربية بين سحابتين.

وعند حديث ابن عربي في "فصوصه" عن سبب رسو المواد في  
السوائل من الناحية الفيزيائية يقول: فيما فيه من الحرارة علا، وبما فيه  
من اليبوسة ثبت ولم يتزلزل"<sup>١٥١</sup>. إلا أن العلم الصحيح يقول: "إن الجسم  
الراسب إنما يرسب لزيادة كثافته عن كثافة السائل الموجود فيه وليس  
لبرودته أو رطوبته. فالتلج مثلاً يطفو على الماء وهو أبرد منه"<sup>١٥٢</sup>. فأين  
الكشف وإدراك الأمور كما هي؟

أما الدباغ فيقول: إن "سبب زلزلة الأرض تجلي الحق سبحانه  
لها"<sup>١٥٣</sup>، "فرضي الله عن الشيخ ما أعرفه بالأمور"<sup>١٥٤</sup>. ولكن ألا يجب  
القول أيضاً: لا رضي الله عنه ما أجهله إن أخطأ.

وما الذي سيقوله الدباغ أيضاً عن البحر المحيط بالأرض؟ يقول:  
"إنه ذو برودة للنهية لمجاورته للرياح ولبعده من حر الشمس، بحر  
محمول على القدرة الأزلية وليس هو على الأرض ولا على شيء"<sup>١٥٥</sup>.  
ولكن ما أسخف المؤول لهذا البحر على أنه بحر "في عالم الملكوت شأن

<sup>١٥١</sup> - ص ٤٠٥ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

<sup>١٥٢</sup> - ص ٤٣٨ نفسه

<sup>١٥٣</sup> - ص ٣٨٨ ج ١ الإبريز

<sup>١٥٤</sup> - ص ٣٨٩ نفسه

<sup>١٥٥</sup> - ص ٣٨٣ ج ١ نفسه

الملائكة"<sup>١٥٦</sup>، وها هو شيخه وأعني الدباغ يقول: اعلم أن "الأرض محمولة على الماء والماء محمول على الريح والريح تخرج من حيز عظيم بين السماء وطرف الماء - أعني ماء البحر المحيط وذلك أنى لو قدرنا رجلاً يمشي ولا ينقطع مشيه فإنه يبلغ لمنقطع الأرض ثم يرى البحر المحيط، فإذا فرضناه يمشي عليه ولا ينقطع مشيه، فإنه لا يزال يمشي فوق الماء إلى أن ينقطع وعند ذلك لا يبقى بينه وبين السماء إلا الجو الذي تخرج منه الريح، فيرى رياحاً لا تكيف ولا تطاق وهي الحاملة للماء والأرض والماسكة للسماء-. فإذا أراد الله تعالى أن ينزل المطر على قوم أمر شيئاً من تلك الرياح، فانعكس إلى جهة الأرض وعَبَرَ على متن البحر المحيط أو غيره فيحمل ما أراد الله تعالى من الماء إلى الموضع الذي يريده عز وجل وكم مرة أنظر إلى طرف الماء الموالي للجو الذي فيه الرياح، فأرى فيه جبلاً من الثلج لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل، فإذا رجعتُ من الغد وجدت تلك الجبال نقلت إلى طرف الماء الموالي لجبل قاف وإذا الرياح المنعكسة هي التي حملتها"<sup>١٥٧</sup>.

وقول الدباغ هذا يحتاج منا إلى تذكير "الشماع أو المؤول بالقدَر الكوني فربما لا علم له به! فالبحر المحيط يحيط بالأرض أو أن الأرض محمولة عليه وهو محمول على الرياح أو القدرة الأزلية، وجبل قاف

<sup>١٥٦</sup> - ص ٣٨٣ حاشية، نفسه

<sup>١٥٧</sup> - ص ٣٩٠ ج ١ الإبريز

يحيط بالبحر المحيط والسماء أو الأكر السماوية تستند عليه، وإذا ما كان البحر المحيط محيطاً بالأرض فلا يعقل وفق هذه النظرية أن يكون محمولاً بالأرض وهو ما قاله الدباغ وللتأكيد قال أن من قطع الأرض بمشيئه ثم قطع البحر المحيط ومن ثم صعد إلى السماء مروراً بقاف فهناك سيرى مصدر الرياح، فالرياح من السماء والثلج والبرد موجودان هناك على شكل جبال جاهزة تقوم الرياح بنقلها إلى حيث شاء الله. ونظريته المضحكة هذه عن حدوث الثلج والبرد إن أردتها بالتمام فانظر إليها بالجزء الأول ص ٣٨٢ وما بعدها من كتاب الإبريز.

أما عن علوم الرياضيات فلأهل المعرفة الباع الأطول وأي باع فالأرقام تستخدم لتسخير الأرواح، فمن توالف الأرقام المتحابية أو المتباغضة ترى العجائب شأنها في ذلك شأن علم الحروف، حتى أن الصوفي لم يجد في الرياضيات إلا واحدة من جملة الوسائل الغيبية، وللقناعة عند ابن عربي مثلاً درجات، فهي عند أهل الأنس والوصال ٦٥٢ درجة ودرجاتها عند العارفين من أهل الأدب والوقوف ٢٥٧ درجة<sup>١٥٨</sup>، "وأن درجات الشكر في الأسرار الإلهية ١٢٥١ درجة عند العارفين، وعند الملامتية ١٢٢٠ ودرجاته في الأنوار عند العارفين ٥٥١ درجة..."<sup>١٥٩</sup>. والدباغ الذي لا علم له بالقراءة والكتابة قد استخدم معرفته

<sup>١٥٨</sup> - ص ١٩٨ ج ٢ ب ١١٦ الفتوحات المكية

<sup>١٥٩</sup> - ص ٢٠٢ ج ٢ ب ١٢٠ الفتوحات المكية

اللدنية بالرياضيات ليقول لنا: اعلم أنه "في ذات كل ملك خمسة رؤوس، لكل رأس يمين وشمال وفوق وتحت، فله فوق تسعة أفواه مجموع ذلك: ثلاثة وستون في كل رأس، فإذا ضربت عدد الرؤوس الخمسة في عدد الأفواه السابقة كان الخارج ثلاثمائة فم وخمسة عشر فمأ، والفم يكون فيه ثلاثة ألسن وقد يكون فيه خمسة ألسن، وقد يكون فيه سبعة ألسن، وإن كان فيه خمسة كان الخارج: ألف لسان وخمسمائة لسان وخمسة وسبعين لساناً."<sup>١٦٠</sup> ولكن إن كانت الرياضيات وسيلتنا في الإدراك كأهم ما تعنيه، فهي عند الصوفي لا يمكنها تجاوز المعنى الوصفي كما لا يمكنها التطابق مع الموضوع وفق معياريتها الواضحة الشمول من جهة أخرى.

وأنى اتجه الصوفي في العلم أو المعرفة فلا تراه إلا وقد اتخذ إحيائية الإنسان من مبدأ "الإنسان مقياس كل شيء" عند بعض فلاسفة اليونان مفتاحاً يصلح لكل الأفعال، فمن نظرتة للإنسان مثلاً كان بنائه لنظرية الخلق على النكاح والتوالد وإلى ما هنالك، ومن نفس المنظور تكلم عن الكواكب والأرض والبرق والرعد حتى الزراعة لم تتج هي الأخرى من هذا التفسير الإحيائي، وابن عربي مثلاً يقول: "فإذا نكح الجو

---

<sup>١٦٠</sup> - ص ٤٠١ ج ١ الإبريز



الأرض وأنزل الماء ودبرته في رحمها آثار الأنوار الفلكية ضحكت  
الأرض بالأزهار وأنبئت من كل زوج بهيج" <sup>١٦١</sup>.

وأي علم هذا إذا ما قورن بتشديد القرآن على مصطلح المقدار  
المناسب الذي إن تعرفنا إليه حزنا السيطرة على الإنبات المطلوب كما  
هي غاية علم النبات؟

وبعد أن عرفنا كيف أحاطت الأخطاء في طبيعة المنهج المعرفي  
للتصوف أصبح لزاماً علينا كما يقول الدكتور زكي نجيب أن نرفض هذا  
المنهج من الجذور لأنه كما يقول: "لا فائدة لنا نحن بني الإنسان من تلك  
المعرفة-. وسائر الناس في كل جوانب حياتهم لا يتغيرون قيد شعرة  
بمعرفة تلك" <sup>١٦٢</sup>، "والدنيا لن تتقدم قيد إصبع واحدة بتلك المعرفة التي  
زعمها الصوفي، فالصوفي صاحب الأسرار المعرفية من جهة أخرى "لا  
ينفع الناس، هو فرد وليس هو بعضو في جماعة، ومثل هذا العارف  
الصامت لا يضع حجراً واحداً في بناء الحضارة أو في تقدم العلم" <sup>١٦٣</sup>،  
فالمطلوب اليوم كما يقول الدكتور زيعور "المطلوب اليوم أن لا يستمر

<sup>١٦١</sup> - ص ٥١٧ ج ٣ ب ٣٨٢ الفتوحات المكية

<sup>١٦٢</sup> - ص ٣١٧ المعقول واللامعقول

<sup>١٦٣</sup> - ص ٤٢٢ نفسه

الصوفيون أقوياء-. فأوضاع المجتمعات العربية الراهنة وأحلامها  
ومستقبلها لا تجيز الاستمرار للعقلية الصوفية"<sup>١٦٤</sup>.

---

<sup>١٦٤</sup> - ص ٢٢٩ العقلية الصوفية ونفسانية التصوف

## - ملاحظة:

المعرفة الصوفية إن قلنا بالعقل فهي بدائية إحيائية، فكل شيء روح، ومعرفة الأشياء أو الظواهر الطبيعية لا تكون إلا عن طريق الصلة مع أرواحها، وعندها لا تفسير ولا علل تفسيرية تتيح لنا السيطرة أو التحكم بالظواهر الطبيعية إلا عن طريق تسخير الأرواح والسيطرة عليها من خلال ما تحب وتكره.

الصوفي يزعم استئزال الملائكة أو أرواح الكواكب لتسخيرها فيما يريد سواء على مستوى المعرفة أو الأفعال وإلى ما هنالك ولكن لو كان الملائكة بالفعل هم مصدر علمه بالكواكب لما أخطأوا بوصف أجسادهم التي جعلوها أثيرية وشفافة، وهل يعقل لروح الشمس أن يكون جاهلاً بدوران الأرض حوله أو حول الشمس أو جاهلاً بحرارة جسمه الذي هو كتلة ملتهبة، وكيف له الزعم بأن نور الشمس ليس منها لينسبه إلى أرواح المؤمنين؟ ولكن الملائكة لا تكذب، ولا بد عندها من كائنات أخرى لتفسير هكذا مزاعم!

العلم الشامل ليس إلا لله وحده، وبالحدِيث الصحيح القائل: "كنت يده" وبما للصوفي من كشف وذوق وعيان نسب العلم المطلق إلى نفسه وهو الجاهل بغذائه لما كان جنيناً في بطن أمه، وببصره وكيف يدرك، وبعده الفقرات والمفاصل التي لجسده، بل والجاهل بكيف كان ذكراً ولم

يكن أنتى، فكيف ذلك وقد نسب علمه إلى الله أو وهو الزاعم لعلم ما كان وما يكون؟ ولو قال أنتم أعلم بشؤون دنياكم لاحتاط للأمر وعذرناه على أخطائه، ولكنه تحدى العلم والعلماء والعقل والخبر النبوي بثمار منهجه المعرفي الذي طبقه على الطبيعة على الإنسان على الطب والتشريح والتاريخ والأدب والعقائد والفلك وأصل الأنواع، حتى الرياضيات نسبتها إلى المعرفة اللدنية، وبالتحدي ربط بين العورة والمحبرة بين الكدر وسواد الحبر حتى خدع أقرانه إلى حين، أو طالما هم جاهلون، أما نحن فلا عذر لنا في خداع أنفسنا طالما استطعنا إخضاعه لمعايير الصدق والكذب.

العارف الذي يعرف شرك وأنت ساكت عجز عن معرفة أسرار أرواح الكواكب التي هي برأيه كائنات حية شأنها شأن الإنسان الذي له إدراك ما يخفيه ضميره، عجز عن معرفة أسباب الأمراض وعلاجها، عجز عن معرفة العدوى والتعرف إلى آثارها الخطيرة، كما عجز عن التعرف إلى حركة دمه وما يجري في قلبه وشرابينه وكبدته، كما عجز عن معرفة عمر الأهرامات ومنابع الأنهار، كما عجز عن تحليل ظاهرة البرق والرعد والزلازل، كما أدرك بالعيان والكشف أن الذهب أصل المعادن وكل المعادن الأخرى عن أمراض أصيبت بها، كما أدرك أن الأرض وجدت قبل الشمس والسماوات، وبكشفه زعم أنها مسطحة

وساكنة وذات زوايا أربعة وأن السموات تستند على جبل قاف المحيط بها، كما كان له لقاء الحية الناطقة التي لا عمل لها على ما يبدو إلا تزكية هذا الولي أو ذلك، كما كان له مشاهدة البشر القاطنون في أعماق البحار، بل وعاین العمالقة بكافة أصنافهم، كما أدرك البهوت أو الثور الحامل للأرض على قرنيه!

ولكن إن كانت كل هذه المجاهيل التي ظنها الصوفي على صواب ويقين لا تنتسب بمصدرها إلى الله من خلال أكذوبة الاتحاد بالله، ولا إلى الملائكة ولا إلا الكشف الصادق، فعن أي مصدر إذن وعن أي كشف كان له وهو الذي قد أدرك الأمور كما هي وهو الصادق فيما رأى وروى وكُشف له، فقد رأى العمالقة حقاً وحُمل إلى جبل قاف وتحدث إلى الأفعى كما تحدثت معه أرواح أو عقول الكواكب وخدمته، بل والظاهرات الطبيعية الأخرى ابتداء من الأعشاب نهاية بالأشجار والوديان والذهب والميزاب كل ذلك كان يكلمه بلسان يفقه معناه، وما أعظمها من متعة وما أعظم اليقين الحاصل عن هذا الإدراك أو المعرفة، إلا أنها المأساة إن أدرك الصوفي خطأ ما عرف مع ما يعرفه من العقيدة أو مع يقين الصواب العقلي، ولكن عندها إما سينسب الخطأ إلى الله ليقول بالتغير المستمر واختلاف التجليات التي تعني "البداء" حيث بدا لله في كل تجل ما لم يبدُ بغيره، أو ليقول بالظاهر والباطن الذي معناه زجر ظاهر

الشريعة والعقيدة إلى اليقين المخالف للعقيدة والشرع. إلا أن الصوفي ورغم ذلك كله معذوراً ولا مؤاخذه للمحموم، وربما لا شيء آخر غير الكائنات الأخرى المسؤولة عما حدث له، فهي التي حملته إلى هذا المكان وذاك، وهي التي حملته على الماء والهواء وفي النيران، وهي التي حملته على أنها الله أو أرواح الكواكب أو الأعشاب عياناً أو بالإلهام والتخاطر، وهي التي هيمنت عليه حتى كانت تتكلم بلسانه، حتى كان بها سمعه وبصره، أما إن أصرَّ المريض على مرضه ليعاند العقل واليقين الحاصل عنه فهو حينئذ المجنون الذي يحتاج إلى الحجر، أما إن كان الصوفي على سبيل الافتراض جاهلاً بمصادره المعرفية فعندها على الأقل لا حق له في زعمه ليقين أسرارته التي تناقض أخبار النبوة والقرآن والعقل، كما لا حق له بمصادرة التفسير والفهم والتأويل للقرآن بالباطن المزعوم، بل ولا حق لكشفه المزعوم أن يكون قيماً على ما صح من أحاديث الرسول، ولا أن يكون مصدراً للأحاديث الكشفية المكذوبة، وبأي حق كان له تفضيل الولاية على النبوة وهو الجاهل بمعرفة الله نفسه، ولو عرفه ما برأ بتوحيده عدوه وعدو أبيه!

## الشيطان والتباس المعرفة الصوفية

## - الصوفي معصوم من الشيطان:

من وجهة النظر الإسلامية كل معارضة للدين مهما تكن لا بد أن تكون على توافق مع الشيطان أو أن الشيطان وراءها، وهو المعيار الموضوعي الوحيد الذي به إمكانية وزن المعرفة الماورائية للصوفي. وحتى لا يتهم الصوفي بهذه الموافقة نراه يصبر كثيراً على إبراز تعارضه مع الشيطان، فليس للشيطان عليه من سبيل "فليس للشيطان عليهم" أي الأبدال كما يقول ابن عربي "سلطان-. وأما إبليس "عند النقباء" فمكشوف عندهم" <sup>١٦٥</sup> ولا خوف منه، بل إنه يكفيك لطرده الشيطان أن تذكر اسم الشيخ الصوفي لينفر بعيداً عنك، وأحداهم يقول لمريده: "إذا وسوس لك الشيطان وأنت في الذكر في خلوتك فاصرخ باسمي فإنه يهرب" <sup>١٦٦</sup>. أي قل أعوذ بشيخي منك فإنه يهرب!! والشيخ أحمد الرفاعي يقول عن مجلسه: "هذا مجلس يفر منه الشيطان" <sup>١٦٧</sup> لأن الملائكة كما يزعم قد غسلت صدره من كل ما للشيطان فيه من نصيب، كما غسلت صدر جده من قبل" <sup>١٦٨</sup> بل وقال: "سموا أولادكم أحمداً ومحمداً ومنصوراً فإنه ليس

<sup>١٦٥</sup> - ص ٧ ج ٢ ب ٧٣ الفتوحات المكية

<sup>١٦٦</sup> - ص ٢ ج ٢ الأنوار القدسية

<sup>١٦٧</sup> - ص ٤٠٤ أشرف الوسائل

<sup>١٦٨</sup> - ص ١٤١ قلادة الجواهر



في هذه الأسماء للشيطان نصيب" <sup>١٦٩</sup>. وهل عندها ما هو أهون من الانتصار على اللعين إبليس؟

أما الدسوقي فقد نفى أي أثر للشيطان على أهل التصوف قائلاً: "إننا لا نعرف قط إبليس اللعين" <sup>١٧٠</sup>. بمعنى أنه "لم يبق يعرف إلا الله ولذلك – كما يقول ابن عجيبة – قال بعضهم: نحن قوم لا نعرف الشيطان-. فقد اشتغلنا بالله فكفانا أمره حتى نسيناه" <sup>١٧١</sup>. ومن كان أمره هكذا أو مع جمع دائم بالله فلا حضور ولا وجود للشيطان إلا على معنى العدم. ولكن هل لأحد الاتحاد أو الجمع بذات الله؟

أهل التصوف هم أهل التوحيد، هم أهله وكل توحيد دونهم فهو إلى البوار والخذلان، ولصدق التوحيد الذي اعتقدوه جعلوا من أدلته سلاحاً يحاربون به الشيطان "فإذا استشعروا شيئاً من همزاته – كما يقولون – رموه بشهب أدلة التوحيد فينقلب اللعين خائباً" <sup>١٧٢</sup> وقد ولى الأدبار. وربما لأنه اطمأن على مآله حسبما يقوله توحيدهم!

وعندما كان الفتح للدباغ كانت العلامة التي شهدت بفتحه الرحماني لا الشيطاني أن تجسد النبي ﷺ من نوره الواصل بين القبر والبرزخ أمامه، ولما روى ذلك للشيخ البرناوي قال له البرناوي: "لقد جمعك الله

<sup>١٦٩</sup> - ص ١٤١ نفسه

<sup>١٧٠</sup> - ص ١٧٥ ج ١ الطبقات الكبرى

<sup>١٧١</sup> - ص ١٥٣ ج ٢ إيقاظ الهمم

<sup>١٧٢</sup> - ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ج ٢ الفتح الإلهي

من رحمته-. فلست أخاف عليك تلاعب الشيطان"١٧٣. وبذلك أصبح الشيطان ولا فعل له على الدباغ، لا، بل ولا فعل له مع كل أهل التصوف فقد "قال المسوحي: رأيت إبليس في النوم يمشي عريانياً فقلت: ألا تستحي من الناس! فقال: بالله هؤلاء ناس؟! لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة، بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية"١٧٤، ولما سئل إبليس عن الشيخ أبي مدين "قال إبليس: ما شبهت نفسي فيما نقلني إليه في قلبه إلا كمشخص بال في البحر المحيط"١٧٥، ويقول إبليس عن شيخ آخر: "فلم أجد إليه سبيلاً تحلى بالصدق فامتنع عني"١٧٦. أما الشيخ ابن خفيف فمنذ زمن بعيد نراه يقول حسب رواية القشيري: "عهدي بالصوفية يسخرون من الشيطان والآن الشيطان يسخر منهم!"١٧٧.

الصوفي إذن معصوم من الشيطان ولا سبيل له عليه، فقد غسلت الملائكة صدره فلا أدران يتمسك بها ومكائده غير خافية على العارفين ولا نراه إلا وقد أثر الهرب من مجالسهم بعيداً عنهم، ويكفي ذكر أسماء مشايخ التصوف ليولي الأدبار خوفاً من رميته بشبه أدلة التوحيد التي

١٧٣ - ص ٣١٩ ج ٢ الإبريز  
 ١٧٤ - ص ٥٠٩ ج ٤ إحياء علوم الدين  
 ١٧٥ - ص ٦٦٦ ج ١ ب ٧٢ الفتوحات المكية  
 ١٧٦ - ص ٦٤ ج ٢ إفاظ الهمم  
 ١٧٧ - ص ٢٩ الرسالة القشيرية

يتمسكون بها دائماً، وبتوحيد الفناء أو الجمع أو بالاجتماع مع رحمته تعالى يكون انعدام إبليس. فهؤلاء هم الذين اعترف إبليس بعدائهم لعجزه عن جرهم في ركابه دون كافة الخلق، ولهذا فلا توافق بين إبليس والصوفي على الإطلاق وكل ما قاله الصوفي عندها بمنهج المعرفي أو ما يقوله فهو عن الله أو عن ملائكته!

## - تلبيسات إبليس:

ليس من توافق بين الصوفي والشيطان، إلا أن للشيطان حسب رواة أهل التصوف تلبيسات لا نهاية لها على أوليائهم، وعلى عاتق الصوفي عندها هدايتنا للتعرف على تلك التلبيسات ليربح ثقتنا به على الأقل أو ليكون لنا الفصل بين أولياء الرحمن عن أولياء الشيطان، فالشيخ عبد الكريم الجيلاني يقول: "اعلم أن إبليس له في الوجود تسعة وتسعون مظهراً على عدد أسماء الله تعالى الحسنى"<sup>١٧٨</sup>. وبهذه المظاهر يمكنه تلبيس الأمور على العارفين حيث "يظهر عليهم تارة من حيث الاسم الإلهي وتارة من حيث الوصف وتارة من حيث الذات-. فلا يعرفه إلا آحاد الأولياء.-. "ولكن" لا سبيل إلى إفشاء هذا السر"<sup>١٧٩</sup>! وبقي انعدام التمييز بين تجليات أسمائه تعالى وبين ظهور الشيطان بمظاهر هذه الأسماء الإلهية في حضيرة الأسرار أسرار الأولياء دون غيرهم!

فإبليس كما يقول الشعراني أيضاً، يراقب أحوال الولي الصوفي وينظر من أين يأخذ علومه أو معرفته "فإن رأى أن من عادته الأخذ للمعارف من الأرض أقام له أرضاً متخيلة ليأخذ منها-. وإن رأى حال ذلك الولي الأخذ من السماء أقام له سماء متخيلة مثل السماء التي يأخذ منها-. وإن رأى أن حال ذلك الولي الأخذ من سدرة المنتهى أو من ملك

<sup>١٧٨</sup> - ص ٣٩ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل

<sup>١٧٩</sup> - ص ٤٣ ج ٢ ب ٥٩ الفتوحات المكية

من الملائكة خيل له صورة مثلها أو صور ملك مثل ذلك الملك وتسمى له باسمه-. وإن رأى الشيطان أن حال ذلك الولي الأخذ من العرش أو العماء أو الأسماء الإلهية ألقى إليه الشيطان بحسب حاله ميزاناً بميزان" <sup>١٨٠</sup>، واعلم كما يقول ابن عربي "أن الشيطان لا يجلس للشخص إلا على ما هي عليه حالته" <sup>١٨١</sup>، "ومن دسائسه أيضاً أنه يأتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه أنه يجهل من أتاه به "فيظن أنه من الله" ومن دسائسه أنه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به أستارهم ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف أنه نال درجة عظيمة وإنما ذلك من الشيطان لأن الشيطان صار سمعه وبصره-. ومن دسائسه التي تخفى على غالب الأولياء أنه ينظر إلى قلب الولي فإن رآه يستمد من العماء مثلاً له عماء وأتاه منه وكلمه منه أو عرشاً فكذاك أو كرسيّاً فكذاك أو سماء فكذاك-. وإن لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين" <sup>١٨٢</sup>، "فليس غرض الشيطان من الخلق إلا أن يجهلوه في الخواطر ويصدقوها-. وأدناها أن يقول له: مثلك لا يؤاخذ الله لكونه كشف لك أنه الفاعل وأنه المقدر" <sup>١٨٣</sup>.

١٨٠ - ص ٨٧ ج ٢ م ٤٦م اليواقيت والجواهر، ص ٦٢٣ ج ٢ ب ٢٨٣ الفتوحات المكية

١٨١ - ص ٦٢٣ ج ٢ ب ٢٨٣ الفتوحات المكية

١٨٢ - ص ١٣٦ - ١٣٧ ج ١ م ٢٣م اليواقيت والجواهر

١٨٣ - ص ١٣٧ نفسه

فإبليس يأتي للعارفين موافقاً لأحوالهم، فإنه كما يقول ابن عربي مثلاً "يضع عرشه على الماء لما علم أن العرش الرحماني على الماء. يلبس بذلك على الناس أنه الله، كما فعل بابن صياد-. فإبليس ما له نظر إلا في الأوضاع الإلهية الحقيقية فيقيم في الخيال أمثلتها ليقال هي عينها، فيغتر بها من نظر إليها وما ثم شيء فإن الله قد أعطاه السلطنة على خيال الإنسان فيخيل إليه ما يشاء"<sup>١٨٤</sup>، "وقد يتشكل قدامك - كما يقول نجم الدين الكبري - كأنه زنجي طويل ذو هيئة عظيمة يسعى كأنه يطلب الدخول فيك-. واعلم أنه يبصر بك وتبصر به"<sup>١٨٥</sup> ويمكنه أن ينكشف لأرباب القلوب "كما يقول الغزالي" تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم، وتارة بطريق الحقيقة"<sup>١٨٦</sup>، وليس للشيطان "باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء "كما يروي الغزالي" أن الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام، فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج من العلم، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهم إليهم فيعجب بنفسه وبه يهلكه"<sup>١٨٧</sup>.

<sup>١٨٤</sup> - ص ٤٩٣ ج ٤ ب ٥٦٠ الفتوحات المكية

<sup>١٨٥</sup> - ص ٣٩٣ المعقول واللامعقول

<sup>١٨٦</sup> - ص ٤١ ج ٣ إحياء علوم الدين، ص ٢٦٧ ج ٣ الفتوحات المكية

<sup>١٨٧</sup> - ص ٤٥ ج ٣ إحياء علوم الدين

فالشيطان إذن وبقدرته على التخيل قادر على جعل نفسه مصدراً للمعارف السماوية والأرضية الطبيعية عند الصوفي وقادر على زعم أنه واحداً من الملائكة قد حضر ليعطيه العلم والمعرفة، كما له أن يزعم أنه الله الذي يخاطبه ويراه، بل وله أن يهب له الكشف والمشاهدة إلى حد أن يصبح يده وسمعه وبصره، وعندها بالشيطان يبطن وبه يسمع وبه يرى، وهو حينئذ ذو كشف ذو خوارق ذو مشاهدة وإن نطق فالشيطان هو الناطق وبهذه الهيمنة هو القائل سبحانه ما أعظم شأنى، ومن الخطأ أن تنسب أمثال هذه العبارات إلى الصوفي حتى ولو بمصطلح الشطح إلا إن رضينا بالمساواة بين أطراف الهيمنة في مقام الجمع وما يعنيه.

الشيطان إذن مسؤول عن الشطح أو عن بعض مظاهره، فقد حدث كما يروي ابن عربي أن أعمى كان ذات مرة حاضراً في حفلة من حفلات السماع أو الذكر الصوفي، فرأى الشيطان "قد تَبَّتْ" أو وقف" عند واحد عليه غفارة حمراء وعمامة وإحرام-. فرأيناه يستجلب الحال-. ثم قال "الأعمى": تراه يريد أن ينطحه بقرنه. ثم غلبه "أي أفناه أو هيمن عليه" فطعنه بقرنه. فإذا ذاك الرجل قد صاح وغلب عليه الحال وقام يشطح"<sup>١٨٨</sup>. فالشطح الناتج عن السماع أو عند الفناء أو الغيبوبة برأى ابن عربي ذو مصدر شيطاني!

<sup>١٨٨</sup> - ص ٤٣ روح القدس

والشيطان كما يصرح ابن عربي وكما قال الحراني هو المسؤول عن التخاذل ونقل الأفكار بين المتخاطرين، وهو المسؤول عن معرفة ما في ضمائر الخلق، وعلى سبيل المثال يقول ابن عربي: إن الشيطان قد "ألقى إلى ابن صياد في روعه هذا القدر وذلك أن النبي ﷺ تلفظ باسم السورة عندما عينها في نفسه فسرقها الشيطان واختطفها من لفظه، ولو أضمرها رسول الله ﷺ في نفسه ما عرفها إبليس فإنه ليس له على قلبه ﷺ اطلاع ولا استشراف بخلاف قلب الولي"<sup>١٨٩</sup>. إلا أن ابن عربي قال في غير هذا المكان بعجز ابن صياد عن معرفة ما أضمره الرسول صلى الله عليه وسلم في سره لأنه لم يعلنه لغيره، والصحيح أن ابن صياد أو الشيطان قد أخطأ في قراءة ضمير الرسول لسورة "الدخان" فظن أنه الدخ، فشتمه النبي قائلاً: "اخساً فلن تعدو قدرك" المحدود بانعدام الصدق أو اليقين، والمهم هنا هو أن إبليس ينقل المضمّر من صاحبه إلى أعوانه أو كهنته، ولكن الجنيد يقول: "العارف من عرف سرك وأنت ساكت!!" وليس هذا فحسب فالشيطان أيضاً مسؤول عن الكلام المسموع من الأصنام والأوثان والقبور وهو الداعي بهذا لعبادة الظواهر الطبيعية والكواكب والأسلاف والأوثان وإلى ما هنالك، فقد كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات يبطن نخلة فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال: إئتني بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات فاعتضد الأولى فأتاها

<sup>١٨٩</sup> - ص ٦٢٣ ج ٢ ب ٢٨٣ الفتوحات المكية



فعضدها. فلما جاء إليه قال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قال: فاعضد الثانية فأتاها فعضدها. ثم أتى النبي ﷺ فقال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا. قال: فاعضد الثالثة. فأتاها فإذا هي بجنية نافسة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصر بأنيابها. وخلفها "ديبة السلمي" وكان سادنها. فقال خالد:

"يا عز كفرانك لا سبجانك اني رأيت الله قد أهانك"

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حممة ثم عضد الشجرة وقتل ديبية السادم ثم أتى النبي ﷺ فأخبره. فقال: تلك هي العزى ولا عزى بعدها للعرب" <sup>١٩٠</sup>.

وبالمقابل فلا أغزر من الروايات الصوفية التي تحكي عن الخوارق وسماع الأصوات من مقابر وأضرحة أوليائهم سواء على مستوى الإرشاد أو النصح والتجسد أو على مستوى علاج المرضى وإلى ما هنالك، بل وحتى الأفعال نسبوها لموتاهم الذين لم تنقطع أعمالهم إلى حد مشاركتهم للأحياء في أفراحهم وأتراحهم. ولكن الله تعالى ومن أجل ألا ننخدع بأصحاب الكشف والخوارق قد ذكر لنا قصة السامري صاحب الكشف القائل "بصرتُ بما لم يبصروا به"، فلما رأى بكشفه عجائب أو خوارق فرس جبريل، قال: "فقبضت قبضة من أثر الرسول" أو جبريل،

<sup>١٩٠</sup> - ص ٥٧ تلبيس إبليس

ثم قذفها في العجل الذهبي " فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار"، " فقالوا هذا إلهكم وإله موسى" فعاقب الله السامري باللامساس وإلهه بالإحراق.

والمغزى من القصة يتمثل فيما يلي:

١ - عدم اتباع الزاعمون للكشف لأن استنتاج صاحب الكشف قد يكون مضلاً وخاطئاً، فالحذر منهم لا بد منه للنجاة من شرهم.

٢ - ليس من ميزان توزن به الخوارق وأصحابها إلا بميزان النبوة وكتاب الله.

٣ - لا حكم للخوارق بالصواب حتى لو كانت عن علة من أثر لملك من الملائكة.

٤ - كل مخالفة لنتائج الكشف لله ورسوله تستحق العقاب بحكم الله وأقلها عدم التماس معهم أو الحذر من مخالطتهم.

للشيطان تلبيسات حتى على الأنبياء، ولكن الأنبياء معصومون صلوات الله عليهم أجمعين بالتدخل الإلهي، فقد "قال أهل التفسير" كما يروي عبد القادر الجيلاني".- أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم وقرأ "والليل إذا يغشى" في صلاة الفجر بمكة فأعلن قراءتها، فلما بلغ إلى قوله "أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى" **نعس النبي ﷺ فألقى الشيطان في قراءته**، تلك الغرائيق العلا عندها الشفاعة ترتجى. يعني

الأصنام"<sup>١٩١</sup>، "فوقفت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك وهما من سجع الشيطان وفتنته ألقاهما في قراءة النبي ﷺ عند آخر ذكر الطواغيت والأصنام-. فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام وقال: ما عاذ الله من هاتين الكلمتين ما أنزلهما ربي عز وجل ولا أمرني بهما، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ شق عليه وقال: أطعت الشيطان فتكلمت بكلامه وأشركت في أمر الله عز وجل. **فنسخ الله ما ألقى الشيطان** وأنزل عليه "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته"- ثم أمر النبي ﷺ بالاستعاذة فأنزل الله عز وجل "فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم"<sup>١٩٢</sup>.

وطبقاً لصيغة الرواية التي قال بها الشيخ الجيلاني نرى أن النعاس أو الفناء حسب المصطلح الصوفي والتمني أو موضوع التركيز يعتبران الفرصة النموذج لتدخل الشيطان إلا أن النبي معصوم وجبريل يصح وراءه عن طريق التطابق مع المصدر الإلهي. أما الصوفي فله شأن آخر فلا عصمة له كالأنبياء وأمنياته التي لا حد لها غير خاضعة للتطابق بل ولا تصوف دون الفناء وبالفناء لا دراية للصوفي بما ألقى إليه ومن سيعصمه عندها إلى الأصل الإلهي إن صح زعمه بالأخذ عن الله سبحانه وتعالى؟ فجبريل هو المعيار الموضوعي لما قاله محمد ﷺ ولا موضوعية

<sup>١٩١</sup> - ص ٩٥ ج ١ الغنية

<sup>١٩٢</sup> - ص ٩٦ ج ١ الغنية

بغير ذلك أو بغير الواسطة التي بوجودها يكون التطابق وهذا لا وجود له في الأخذ الصوفي المباشر أو في العيان والجمع المزعوم كما لا وجود له بالأخذ عن طريق الفناء.

ومن جملة تلبيسات الشياطين التي تضلل أولياء التصوف تمثلهم بصور الأنبياء والصحابة والمشايخ، "فتارة يأتون الشخص في النوم يقول أحدهم أنا أبو بكر الصديق-. ويلبسه فيصبح على رأسه ما ألبسه فلا يشك أن الصديق هو الذي جاءه ولا يعلم أنه الشيطان-. وتارة يقص شعره في النوم فيصبح فيجد شعره مقصوصاً"<sup>١٩٣</sup>، "وكثيراً ما يستغيث الصوفي بشيخه الحي أو الميت فيأتونه "أي الشياطين" في صورة ذلك الشيخ وقد يخلصونه مما يكره فلا يشك أن الشيخ نفسه جاء أو أن ملكاً تصور بصورته وجاءه ولا يعلم أن ذلك الذي تمثل إنما هو الشيطان"<sup>١٩٤</sup>.

ورجال الغيب وفق المصطلح الصوفي هؤلاء الذين يحملون الصوفي بالهواء وعلى الماء ويزودونه بدراهم القدرة وإلى ما هنالك ليسوا على الحقيقة كما يقول الحراني وابن القيم إلا من الجان والشياطين "فرجال الغيب هم الجن" والصوفي يحسب أنه أنسي وقد يقول له: أنا الخضر أو الياس بل أنا محمداً وإبراهيم الخليل أو المسيح أو أبو بكر أو عمر أو أنا الشيخ فلان أو الشيخ فلان ممن يحسن بهم الظن وقد يطير به

<sup>١٩٣</sup> - ص ٧٠ ج ١ رسالة الفرقان

<sup>١٩٤</sup> - ص ٧١ نفسه

في الهواء أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة فيظن هذا كرامة بل آية ومعجزة تدل على أن هذا من رجال الغيب أو من الملائكة ويكون ذلك شيطاناً ألبس عليه"<sup>١٩٥</sup>، والصوفية "قد يسمون تلك الصورة رقيقة فلان "أي شبحة" وقد يقولون هو معناه يشكل "أو يتجسد" قد يقولون روحانيته، ومن هؤلاء من يقول إذا مت فلا تدعوا أحداً يغسلني ولا فلاناً يحضرني فإنني أنا أغسل نفسي، فإذا مات رأوه قد جاء وغسل ذلك البدن ويكون ذلك جنياً-. وأما بلاد المشركين كالهند فهذا كثيراً ما يرون الميت بعد موته جاء وفتح حانوته ورد ودائع وقضى ديوناً وإنما هو شيطان تصور في صورته"<sup>١٩٦</sup>، أما الصوفي "فلا يظن أولئك الأشخاص إلا آدميين أو ملائكة فإن كانوا غير معروفين قال: هؤلاء رجال الغيب"<sup>١٩٧</sup>. إلا أن الروحانيون في عصرنا على ما يبدو أكثر وعياً بهذه التليسات من وسطاء المتصوفة أو أوليائهم حيث يقولون: إن "الأرواح المنحطة" أو الشياطين حسب التعبير الديني" هي التي تدعي دائماً أنها علوية أو نبوية أو لها صلة بالأنبياء أو العظماء"<sup>١٩٨</sup>، بل ولا يخاف الروحانيون الآن في جلساتهم أكثر من الروح الذي يدعي أنه آت من عند الله، ولا يحذرون أكثر من الروح التي يقول: أنا محمداً وأنا عيسى أو أنا بلال أو أنا علي أو

١٩٥ - ص ٥٤ نفسه

١٩٦ - ص ٦٠ نفسه

١٩٧ - ص ٥٩ نفسه

١٩٨ - ص ٥٠٨ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

أنا خادمه في الغرفة النبوية أو أنا نابليون أو هتلر، إذ أنهم يعلمون أن الأرواح المنحطة هي التي تدعي دائماً أنها علوية أو نبوية أو لها صلة بالأنبياء أو العظماء"<sup>١٩٩</sup> أو أنها الله نفسه وقد راحت تحدثه بصوتها أو بصوت من جوفه أو من جوف الأشياء لا فرق في ذلك بين الشجرة والبقرة والقبر والوثن.

## - التمييز بين الرحمن والشيطان:

إن لإبليس كما رأينا تلبيسات شتى وكلها ذات انطباق بالمعرفة والخوارق وهما الركنان الأهم في المنهج الصوفي، فمن أجل المعرفة أو لجعل نفسه مصدراً معرفياً لها يتمثل لأهل التصوف بالأنبياء والصالحين والمشايخ بل ويخاطبهم على أنه الحق تعالى ولن يتوانى عن خدمتهم بأبناء وخرق عوائد وغير ذلك كثير. ومن حيث أن الوجد والوصول مشروطان بالفناء، ومن حيث أن الفناء فرصة الأرواح أو الشياطين للهيمنة على الجسد المؤدية لمقام "كنت يده" أو لمقام الحلول أو الاتحاد بالله، ونظراً لخطورة هذه الالتباسات عقلاً وشرعاً وعقيدة فمن حقنا السؤال عن كيف للصوفي التمييز بين ما هو إلهي وبين ما هو شيطاني بشكل موضوعي معياري مشروط بشمول كل أصحاب الأحوال ومن ليسوا بأصحابه وإلا فلا حكم للأخر الذي لا بد من وجوده إن أردنا الموضوعية للأحكام.

الصوفي يزعم بأنه على تعارض مطلق مع الشيطان وهو الخبير بمعرفته ومعرفة أحابيله، والغزالي مثلاً يرى أن طلب العلم الذي فيه منفعة الخلق ونصحهم لاتباع الدين الصحيح ليس إلا من أهم الوسائل الشيطانية التي يضل بها الإنسان دفعاً إلى الغرور وبعداً عن أفراد القصد إلى الله! فبعد أن رسم الغزالي صورة الصوفي النموذج تساءل وأجاب

نفسه قائلاً: "فما الذي يُخاف عليه؟ فأقول: يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق أو نشر العلم"<sup>٢٠٠</sup>. فنشر العلم ونصح الخلق إذن من الوسائل الشيطانية برأي الغزالي، وبهذا المعيار الموضوعي فعلاً نكون قد تعرفنا على أولياء الشيطان الذين هم العلماء والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، ومن كان بعيداً عن العلم وما شرعه الله فهو البعيد عن الشيطان! وأنعم بهكذا رأى صدر عن رجل حدّ العلم بأنه "تمييز لمة الملك من لمة الشيطان"<sup>٢٠١</sup>. إلا أن الغزالي برأي ابن عربي لم يكن له معرفة بتمييز الرحمن عن الشيطان ولا من الذين لهم علامات في هذا الشأن"<sup>٢٠٢</sup>.

أما الشيخ أبو أحمد بن سيديون "فكان يقول هو وأمثاله: إن الإنسان إنما يطرأ عليه التلبيس ما دام في عالم العناصر فإذا ارتقى عنها وفتحت له أبواب السماء عصم من التلبيس"<sup>٢٠٣</sup>، والارتقاء أو العروج هذا المؤدي إلى الحفظ أو العصمة مشروط عند ابن عربي بالعروج روحاً وجسداً أو بوجود علامة إلهية لمن له العروج الروحي فقط، بها يعرف الشيطان وأحابيله وإلا فالتلبيس واقع ولا بد.

---

<sup>٢٠٠</sup> - ص ٤١٢ ج ٣ إحياء علوم الدين

<sup>٢٠١</sup> - ص ١٤ ج ١ نفسه

<sup>٢٠٢</sup> - ص ٦٢٢ ج ٢ ب ٢٨٣ الفتوحات المكية

<sup>٢٠٣</sup> - ص ٦٢٢ ج ٢ نفسه



أما الشيخ نجم الدين الكوبري الذي أيقن بأن لذكر الله ناراً وأن الله نار فعلى عاتقه يقع تمييز نار الذكر عن نار الشيطان طالما أن الشيطان نار، "والذكر أي الله نار كذلك"<sup>٢٠٤</sup>، وللتمييز بينهما قال: إن "الفرق بين نار الذكر ونار الشيطان أن نيران الذكر صافية سريعة الحركة والصعود إلى فوق، ونار الشيطان في كدر ودخان مظلمة وكذلك بطيئة الحركة. وكذلك يفرق بين النارين بطريق الحالة. فإن السيار "أو السالك" إذا كان في ثقل عظيم وضيق صدر، وقد تعذر عليه الذكر ولا ينطلق له القلب ولا ينشرح له الصدر وكأن أعضائه كادت ترض رضاً بالحجارة وهو يشاهد النار المظلمة فهي نار الشيطان، وإن كان السيار في خفة ووقار-. وهو مع ذلك يرى ناراً صاعدة صافية مثل ما يشاهد أحدنا النار في الحطب اليابس فهي نيران الذكر في فضاء الصدر"<sup>٢٠٥</sup>، والشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي "يقول: إذا ورد الوارد بخفة ولطافة وأعقب علماً فهو من الملك، وإن ورد بثقل وتعب في الأعضاء فهو من الشيطان، فاعلم ذلك تفرق بينهما"<sup>٢٠٦</sup>، "والوارد الإلهي "عند ابن عجيبة" تعقبه برودة وسكون وزهد وطمأنينة وفترة، والوارد الشيطاني تعقبه حرارة وقساوة وتكبر وصوله ورؤية نفس"<sup>٢٠٧</sup>.

<sup>٢٠٤</sup> - ص ٣٩٣ المعقول واللامعقول

<sup>٢٠٥</sup> - ص ٣٩٤ نفسه

<sup>٢٠٦</sup> - ص ٨٠ ج ٢ الطبقات الكبرى

<sup>٢٠٧</sup> - ص ١٢٨ ج ٢ إيقاظ الهمم، ص ١٣٦ الروحية عند محبي الدين ابن عربي

وهناك أيضاً موازين أخرى في التعرف على خواطر الشيطان تعتمد على جهة مجيء خاطر بالنسبة للقلب فإن "الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصري بالبصرة يقول: الخواطر أربعة: خاطر من النفس، وخطر من الحق، وخطر من الشيطان، وخطر من الملك. فأما الذي من النفس فيحس به من أرض القلب، والذي من الحق: من فوق القلب، والذي من الملك عن يمين القلب، والذي من الشيطان: عن يسار القلب"<sup>٢٠٨</sup>.

أما بالنسبة لتمييز الشيطان عند الفناء فيقول ابن عربي: "إنه ليس في قوة الشيطان أن يفنيك عن حسك ثم يلقي إليك وتعقل عنه، وإنما هو على أحد وجهين على البذل، إنما أن يفنيك مثل الصرع ولكن لا يلقي إليك شيئاً. وإما ألا يفنيك ويلقي إليك وأنت مع حسك، فعليك بالفناء المحض.- فلا مدخل هناك لإبليس"<sup>٢٠٩</sup>، "فلا تقبل من الإلقاء وإن أردت الصحيح إلا ما حصل لك في حال الفناء الكلي من غير تمثيل ولا حس سوى مجرد الفهم منك بما تكون منه"<sup>٢١٠</sup>.

ولابن عربي طريقة أخرى طريفة في صراعه من إبليس حيث صرح باستخدامه لحجر الزمرد من أجل هذا الغرض قائلاً: "فالقوة

---

<sup>٢٠٨</sup> - ص ٢٢٣ عوارف المعارف

<sup>٢٠٩</sup> - ص ٢٥٢ - ٢٥٣ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

<sup>٢١٠</sup> - ص ٢٥٣ نفسه

المذكورة التي فيه خاصيتها أن تعمي إبليس" <sup>٢١١</sup>، بل ويعرف الجن من لحن أصواتهم عند الكلام لأن "النعمة منهم نعمة جن لا يقدر على أكثر من ذلك، ومن لا معرفة له بهذا القدر فلا معرفة له بالجن" <sup>٢١٢</sup>. إلا أنه بالرغم من قوله بالتمييز بين الخواطر الشيطانية والنفسية والملكية نراه أخيراً وقد ساوى بينهم من حيث المصدر وذلك اتساقاً مع توحيده الذي آمن به ليقول بنزق وعصبية: "وخواطر الأعمال والتروك تكون ملكية وشيطانية ونفسية لا غير ذلك. وكل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً" <sup>٢١٣</sup>، "فالخواطر كلها إلهية" <sup>٢١٤</sup>. وكما يأتي الشيطان لإغواء الإنسان أمراً بالزنا وشرب الخمر وإلى ما هنالك كذلك قد يكون عن أمر وإلهام إلهي ولا اختلاف عندهما بينهما إلا في الاختلاف اللفظي بين مصطلحي الإغواء والابتلاء، وها هو ابن عربي يقول عن نفسه في كتاب "مواقع النجوم": "وهذا الخطاب الذي جاء بشرب هذا الخمر وفعل ما حرمت علي فعله إنما سمعته من الحق ولكن سماع ابتلاء منه" <sup>٢١٥</sup>.

<sup>٢١١</sup> - ص ١٣٧ نفسه

<sup>٢١٢</sup> - ص ١٥٧ نفسه

<sup>٢١٣</sup> - ص ٥٦٥ ج ٢ ب ٢٦٤ الفتوحات المكية

<sup>٢١٤</sup> - ص ٥٦٥ نفسه

<sup>٢١٥</sup> - ص ١٩٩ الروحية عند محيي الدين ابن عربي

## - ملاحظة:

إن المتأمل فيما مضى من معايير الفرز بين الرحمن والشيطان سيرى أن المعيار الموضوعي الذي أشرك الغزالي الآخرين في أحكامه يقول: إن رأيتم الصوفي أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ساعياً لطلب العلم فاعلموا أنه من أولياء الشيطان!! وابن عربي هو الآخر قد زودنا بخرافة حجر الزمرد كمعيار موضوعي للحكم على أحوال الصوفي، وعندها يجب إرغام الصوفي على ربط هذا الحجر في عنقه على الدوام. ولكن إن كان لنا حقاً معرفة الزمرد الذكر ذو الشكيمة على الشيطان! ولا شيء غيرهما ذا موضوعية تدعو الآخر للحكم على مزاعم الصوفي وأحواله. أما عن قضية التمييز بين نار الذكر ونار الشيطان وبين خفة الوارد وثقله والتمييز بجهات القلب وبين الفناء الكلي والفناء الجزئي وبين لكنة الجن وكلام الله والتمييز بالعلامات أو الأمارات كل ذلك مخصوص بذات صاحبه دون أن يتعداه إلى الموضوعية إلى الآخر على الإطلاق. ومن ذلك الذي سيرافق الصوفي في خلواته ليميّز بين تلك النيران هذا إن كان له تلك الرؤية ومن ذلك الذي سيدرك خفة الوارد أو ثقله على من حدث له، ومن الذي سيعرف من أي جهة خوطب قلب الصوفي، وما الذي يدريني أنه على فناء جزئي أو كلي أو أنه يفتعل هذا أو ذلك، وإن كنت جاداً أكثر فاستمع إلى لغة الجن ليكون لك تمييز أحوال الصوفي إن كانت شيطانية أو ملائكية!! فكل هذه المعايير ذاتية ولا علاقة لها بحكم الآخر على الذي يراه الصوفي ويسمعه، وما أكثر التناقض بين الأولياء في هذه المعايير.

إن التمييز الصوفي بين ما هو عن الرحمن وما هو عن الشيطان سيبقى تمييزاً ذاتياً ولا حكم لنا عليه، بل وحتى الصوفي نفسه غير قادر على بيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود في هذا الشأن، وحيث عجز ابن عربي مثلاً عن هذا التمييز بين الخواطر إن كانت إلهية أو شيطانية جعلهما معاً في القيمة سواء، سواء كانت إلهية أو شيطانية لأنه بزعمه لا معنى للتمييز بين الشر الناتج عن الابتلاء الإلهي والشر الناتج عن الإغواء الشيطاني.

أما من حيث النتيجة أو من حيث ما وصلت إليه معرفته المحدودة بالعقائد فكما نظرنا إلى معارفه بالطبيعة مقارنة بالعلم والعقل، فكذلك ستبقى الموضوعية هي مقارنة معارفه أو عقائده بما قاله الله والرسول ﷺ لا بشيء آخر طالما موضوعها هو العلاقة بين الإنسان وما وراء العالم اللامدرك عن طريق العقل.

العقيدة والشرع حسب الدين هما المعيار الموضوعي لفرز الأحوال الرحمانية عن الأحوال الشيطانية للصوفي وكل الأديان على هذا النمط طالما لا رضى لإبليس إلا بما كان عنه من عقائد أو بمخالفة كل ما لغيره من عقائد وتشريع. وقد روى المتصوفة كرامة تقول: لقد كان الشيخ إبراهيم الخواص يصطاد سمكاً ذات مرة وإذ به يتلقى لطمة على قفاه وقائلاً يقول: "أنت لم تصب رزقاً في شيء إلا أن تعمد إلى من يذكرنا فتقتله؟! قال: فقطعت الشعر وكسرت القصبه"<sup>٢١٦</sup>. وهذا يعني أن الله هو

<sup>٢١٦</sup> - ص ٢٨٦ تلبيس إبليس

الذي عاتبه أو كلمه ولطمه، ولكن إن كان الله لم ينسخ شره فأى إله هذا الذي ظهر له؟

وهناك مثلاً آخر يعضد المعيار الشرعي، استخدمه المتصوفة لبيان الالتزام الصوفي بإقامة التكليف وهو الصالح أيضاً لذكر ما يفعله إبليس بأولياء التصوف. يقولون عن الشيخ عبد القادر الجيلاني: قد "كان رضي الله عنه يقول: تراءى لي نور عظيم ملاً الأفق ثم تدلى فيه صورة تناديني: يا عبد القادر أنا ربك، وقد حللت لك المحرمات، فقلت: إخساً يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني: يا عبد القادر نجوت.- لقد أضللت بمنزل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق"<sup>٢١٧</sup>. فبالشريعة نجى الشيخ عبد القادر من إبليس لما ظهر له، بينما سقط في أحبولته هذه سبعين ولياً من أولياء التصوف الذين التبس عليهم أمره، والمؤسف أن أسماءهم لم تزل مجهولة، حتى أصبحنا ولا وسيلة للتعرف عليهم أو على الأولياء الذين صار إبليس رباً وإلهاً لهم! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## - خاتمة:

الصوفي يعترف بالتلبيسات الشيطانية، كما نعتزف نحن بانعدام التمييز الموضوعي لديه بين هذه التلبيسات وبين الأحوال الرحمانية، وقد أخطأ بمعرفته اللدنية للطبيعة، كما صرح في الكثير من أسراره وعقائده بمخالفة القرآن والسنة سواء على مستوى السلوك أو الرياضات أو على مستوى العقيدة وما وراء الطبيعة. إلا أنه بالمقابل ومن اليقين الإسلامي القاطع بأن الله عليم خبير ومن يقين استحالة التقرب إليه سبحانه بمعارضة رسله يكون التعميم القائل: كل من نسب الجهل إلى الله وملائكته وكل من تقرب إليه بما لم يأمر به وكل من زعم معرفة تغاير ما جاءت به الأنبياء والرسل عن الله والملائكة الأعلى، فهو بالشيطان ينطق وبه يريد وبه يعرف ومن المحال أخيراً لمنهج اتضح فساده على مستوى الطبيعة القريبة المنال للإدراك أن يكون صالحاً في تحصيله للمعارف الصادقة عما فوقها.

وبالنتيجة أقول: إن الخطأ العلمي لأولياء التصوف إنما هو في نسبة الموروث الثقافي لبيئتهم إلى الله والملائكة والكشف المقدس وإلى ما هنالك، أما خطأهم العقائدي فهو أيضاً في نسبة توحيد الغنوص توحيد "لا فاعل ولا معبود ولا موجود إلا الله" إلى الله كبديل عن توحيد لا إله إلا الله. ولكن كيف للصوفي اتخاذ كشفه قِيماً على أخبار النبوة وهو الذي لم

يعرف بكشفه خطأ ما كان بين يديه من موروث علمي وموروث  
عقائدي؟!!



## - المراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. الإبريز: أحمد المبارك. تحقيق محمد الشماع ج ١ ط ١ ١٩٨٤، ج ٢ ط ٢ ١٩٨٦.
٣. الأنوار القدسية: عبد الوهاب الشعراني، هامش الطبقات الكبرى، المكتبة الشعبية.
٤. الفتوحات المكية: محيي الدين ابن عربي، مكتبة الثقافة.
٥. الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل: عبد الكريم الجيلاني، مطبعة حجازي القاهرة، ١٣٦٨ هـ.
٦. العقلية الصوفية ونفسانية التصوف: د. علي زيعور، ١٩٧٩ ط ١.
٧. التصوف بين الحق والخلق: محمد فهد شقفة، ط ٢ ١٩٧٠.
٨. الكبريت الأحمر: عبد الوهاب الشعراني، هامش اليواقيت والجواهر.
٩. الروحية عند محيي الدين ابن عربي: علي عبد الجليل راضي.
١٠. الرسالة القشيرية: عبد الكريم القشيري، ١٩٥٧.
١١. المنقذ من الضلال: أبو حامد الغزالي، هامش الإنسان الكامل للجيلاني.

١٢. **المظنون به على غير أهله: أبو حامد الغزالي، هامش الإنسان الكامل للجيلاني ١٩٨٦، ضبط رياض العبد الله.**
١٣. **الفتح الإلهي: السهروردي، هامش إحياء علوم الدين.**
١٤. **الطبقات الكبرى: عبد الوهاب الشعراني، دار الفكر.**
١٥. **اليواقيت والجواهر: عبد الوهاب الشعراني، مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٥٩.**
١٦. **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق: د. زكي مبارك، دار الجيل.**
١٧. **المعقول واللامعقول: د. زكي نجيب محمود، دار الشروق ١٩٧٥.**
١٨. **السحر وتحضير الأرواح: د. السيد الجميلي، دار أسامة.**
١٩. **الإنسان وقواه الخفية: كولن ولسن، ترجمة سامي خشبة، دار الألباب ط ١ ١٩٧٧.**
٢٠. **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: أحمد الحراني، مطبعة التقدم.**
٢١. **الجن والشياطين: رياض العبد الله ١٩٨٥.**

٢٢. الغنية: عبد القادر الجيلاني، دار الألباب.
٢٣. إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي.
٢٤. أيها الولد: أبو حامد الغزالي، ج ١ القصور العوالي مكتبة الجندي.
٢٥. إيقاظ الهمم: أحمد بن عجيبة، ط ١ ١٩٨٦.
٢٦. أصول الفلسفة الإشراقية: د. محمد أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، ط ٢.
٢٧. أشرف الوسائل: محمد الصيادي، ط ١ ١٣٨٩ هـ.
٢٨. حي بن يقظان: محمد بن طفيل، تحقيق فارس سعد، دار الآفاق ط ٣ ١٩٨٠.
٢٩. مواقع النجوم: محيي الدين ابن عربي، مطبعة محمد صبيح، ١٩٦٥.
٣٠. مدخل إلى التصوف الإسلامي: د. أبو الوفا التفتازاني، ط ٢ ١٩٧٩.
٣١. سير الأولياء: صفى الدين الحسني، تحقيق مأمون ياسين وعفت حمزة.
٣٢. سر العالمين: أبو حامد الغزالي، دار الشباب.

٣٣. روح القدس في محاسبة النفس: محيي الدين ابن عربي، مكتبة  
الوكيل.
٣٤. فصوص الحكم: محيي الدين ابن عربي، تحقيق أبو العلا عفيفي،  
دار الكتاب العربي.
٣٥. فلسفة التأويل: د. نصر حامد أبو زيد، ط ١ ١٩٨٣.
٣٦. تلبيس إبليس: عبد الرحمن ابن الجوزي ط ٢ ١٣٦٨ هـ.
٣٧. طبقات الصوفية: عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريفة  
ط ٣ ١٩٨٦.
٣٨. بد العارف: عبد الحق ابن سبعين، تحقيق د. جورج كتورة ط ١  
١٩٧٨.
٣٩. كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء: أبو حامد الغزالي مع إحياء  
علوم الدين.
٤٠. دراسات في التصوف الإسلامي: د. محمد جلال شرف، دار النهضة  
العربية ١٩٨٤.

## - الفهرس:

- ٣ ..... مقدمة:
- ٦ ..... كل العلوم عند الصوفي لدنية:
- ١٣ ..... الأمراض والمعرفة الصوفية:
- ١٨ ..... الجنين يتغذى بدم الحيض:
- ٢٤ ..... أصل الحيوانات:
- ٢٧ ..... البصر يقطع مسافة:
- ٣٠ ..... مصدر المعادن:
- ٣٣ ..... الأرض ثابتة ومسطحة:
- ٤٤ ..... علم الفلك:
- ٥١ ..... الرعد والبرق:
- ٥٩ ..... ملاحظة:
- ٦٣ ..... الشيطان والتباس المعرفة الصوفية:
- ٦٤ ..... الصوفي معصوم من الشيطان:
- ٦٨ ..... تلبيسات إبليس:
- ٧٩ ..... التمييز بين الرحمن والشيطان:
- ٨٤ ..... ملاحظة:
- ٨٧ ..... خاتمة:
- ٨٩ ..... المراجع:
- ٩٣ ..... الفهرس: